الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات　　قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

المبادئ اللّسانيّة وامتداداتها عند دو سوسير والحاج صالح

-دراسة مقارنة في قضايا مختارة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
التخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبتين:
- أماني لعور
- رشيدة بوضياف

إشراف الدّكتور:
- عبد الحليم معزوز

السنة الجامعية: 2020-2021

إهداء

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها ...إلى من سمرت اللّيالي تنير دربي إلى من تشاركني أفراحي وآهاتي... إلى نبع العطف والحنان وأجمل ابتسامة في حياتي ... إلى أروع ابتسامة في الوجود **أمي الغالية**

إلى من علّمني أنّ الدنيا كفاح... وسلاحها العلم والمعرفة إلى الذي لم يبخل علي بأي شيء... إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي إلى أعظم وأعز رجل في الكون **أبي العزيز**

إلى الذين ظفرت بهم هديّة من الأقدار فعرفوا معنى الأخوّة...إخوتي الأحبّاء **خالد، فيصل، سيف الدّين**

إلى روحي ونصفي الثّاني... أختي **سلسبيل**

إلى خطيبي وزوجي المستقبلي **صدام**

إلى صديقة عمري **هنيّة**

إلى صديقتي الغاليّة التي تقاسمت معي عناء البحث **رشيدة**

إهداء

أيّام مضت من عمرنا بدأناها بخطوة وها نحن اليوم نقطف ثمار مسيرة أعوام، كان هدفنا فيها واضحًا كنّا نسعى في كل يوم لتحقيقه والوصول إليه مهما كان صعبًا، وها نحن وصلنا وبيدنا شعلة العلم وسنحرص عليها كل الحرص حتى لا تنطفئ .

أشكر الله عزّ وجل أوّلاً وأخيرًا، ثمّ أتقدّم بالشّكر إلى القلب الحنون... من كانت بجانبي بكل المراحل وكانت شمعة تحترق لتنير دربي أمي الحبيبة.

كل الفضل إلى والدي رحمه الله الذي علّمني الصّعود .

إلى كل إخوتي وأخواتي وكل من ساندني من قريب أو بعيد.

شكر وعرفان

نشكر اللّه عزّ وجل الذي وفّقنا لإتمام هذه المذكّرة بخير وعلى خير.

ونتوجّه بالشّكر والامتنان للأستاذ المشرف **عبد الحليم معزوز** الذي رافقنا طيلة إنجاز هذا العمل دون أن يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه.

كما نتوجّه بالشّكر إلى كل أساتذة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف .

كما لا ننسى أن نشكر كل من قدّم لنا يد العون لإتمام هذه المذكّرة من قريب أو من بعيد.

مقدمـــــــة

إنّ الحديث عن اللّغة بدأ منذ عصور قديمة، لكن كان الاهتمام بها من ناحية نشأتها لا غير، وفي أواخر القرن التاسعة عشر ميلادي بدأت تظهر الدّراسة العلميّة للّغة، وقد كان هذا على يد العالم السويسري فيرديناند دو سوسير؛ حيث أطلق عليها اللّسانيّات أو علم اللّسان، الذي يهتم بدراسة اللّغات الإنسانيّة وخصائصها ومميّزاتها، كما يدرس جميع مستوياتها، فقد كانت الآراء التي طرحها الرّكيزة الأساس لعدد من المدارس التي قامت على مبادئه كحلقة براغ ومدرسة كوبنهاغن ولندن، والمدرسة الأمريكيّة، فاتّفقت معه في بعضها واختلفت في البعض الآخر، وإن كانت اللّسانيّات الغربيّة قد ظهرت بفضل المحاضرات التي ألقاها دو سوسير، فإنّ اللّسانيّات العربيّة قد برزت إلى الوجود بفضل عبد الرّحمان الحاج صالح، الذي بنى منهجه على الدّراسات اللّغويّة التّراثيّة، مطبّقًا عليها المناهج اللّسانيّة الغربيّة.

للوقوف على هذه الحقيقة، انطلق البحث فيها من إشكالية رئيسة مفادها: ما هي المبادئ اللّسانيّة التي جاء بها دو سوسير؟ وهل تأثّر عبد الرّحمان الحاج صالح بهذه المبادئ، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف وظّفها في الدّرس اللّساني العربي؟

وتتفرّع من هذه الإشكالية تساؤلات تتمثّل في:

– ما هي أهم الآراء التي جاء بها دو سوسير؟ وهل كان له أثر على المدارس اللّسانيّة التي جاءت بعده؟

– هل تأثّر العرب بالدّرس اللّساني الغربي؟

ومن أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ "**المبادئ اللّسانيّة وامتداداتها عند دو سوسير الحاج صالح –دراسة مقارنة في قضايا مختارة–**" لمعرفة اللّسانيّات وامتداداتها من دو سوسير وصولاً إلى عبد الرّحمان حاج صالح، ومعرفة التّطوّرات والتّغيّرات التي طرأت على بعض مبادئها.

وتتمثّل الأهداف المتوخّاة من هذا البحث في: تتبّع تاريخ البحث اللساني من دو سوسير مرورًا بالمدارس اللّسانيّة التي جاءت بعده، وصولاً إلى اللّسانيّات العربيّة، وعلى وجه الخصوص عبد الرّحمان الحاج صالح، أضف إلى هذا معرفة أهم الفوارق بينهم.

من أجل ذلك، انتظم البحث في مقدّمة وفصلين تليهما خاتمة.

حاولنا في المقّدمة أن نقدّم لمحة عامة عن الموضوع، وطرح إشكالاته، وبيان المنهج المتّبع فيه، والصّعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز البحث.

وجاء الفصل الأوّل بعنوان "**اللّسانيّات بين الغرب والعرب المبادئ والاتّجاهات**" سعينا من خلاله إلى بيان امتدادات المبادئ اللّسانيّة من الغرب وصولاً إلى العرب، من البحث في مراحل الدّراسة اللّغويّة الغربيّة، ثم النظر في المبادئ اللّسانيّة عند دوّ سوسير، ثم عرض لأهم المدارس اللّسانيّة الغربية، وصولا إلى ظهور اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة، وذلك من خلال الوقوف على أبرز المناهج اللّسانيّة العربيّة الحديثة، وأخيرا جهود عبد الرّحمان الحاج صالح وأهم المفاهيم الأساسيّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة.

أمّا الفصل الثّاني فجاء موسومًا بـ "**مقارنة بين المبادئ اللّسانيّة من دو سوسير إلى عبد الرّحمان الحاج صالح**"، بهدف معرفة الفوارق الموجودة بين المبادئ اللّسانيّة في مختلف المدارس الغربيّة والمناهج العربيّة، وكان الفصل مساحة لعرض آراء كل من دو سوسير ولسانييي مدرسة براغ، ثم دو سوسير ومدرسة كوبنهاغن، ثم دو سوسير ومدرسة لندن، وصولا إلى دو سوسير والمدرسة الأمريكيّة، وبحثنا في تأثير الآراء اللسانية لدو سوسير على رواد المناهج اللسانية العربية، ثم انتقل البحث إلى المقارنة بين دو سوسير والحاج صالح.

وذيّلنا بحثنا بخاتمة موجزة تضمّنت أهم النّتائج المستخلصة من هذا البحث.

وقد اعتمدنا في هذا البحث أساسا على المنهج المقارن، وذلك للمقارنة بين المبادئ التي جاء بها دو سوسير ومختلف المدارس التي جاءت بعده وصولاً إلى عبد الرّحمان الحاج صالح. كما استأنس بالمنهج التاريخي، من خلال تتبع المراحل التي شهدتها اللسانيات منذ

نشأتها، إضافة إلى المنهج الوصفي من خلال الوصف والتحليل لأهم القضايا اللسانية موضوع البحث.

كما اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي خدمت موضوع بحثنا أهمها:

- اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر لأحمد مومن.
- مبادئ في اللّسانيّات لخولة طالب إبراهيم.
- علم اللّغة العام لفيرديناند دو سوسير.
- بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة لعبد الرّحمان الحاج صالح.

وما من بحث يخلو من صعوبات وعراقيل منها: كون الموضوع واسع، وصعوبة الإلمام بجميع جوانبه.

وفي الأخير نشكر الله عزّ وجل على توفيقه لإنجازنا هذا البحث، فإن أصبنا فمن الله عزّ وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشّيطان، كما لا يفوتنا أن نشكر الأستاذ عبد الحليم معزوز على قبوله الإشراف على هذه المذكّرة، والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

الفصل الأول

اللّسانيّات بين الغرب والعرب المبادئ والاتّجاهات

يعدّ الفكر اللّساني الغربي أهم ما أفرزته الحضارة اللّغويّة الحديثة في ظل عالم متطوّر من جميع النّواحي، حيث شهدت القارّة الأوروبيّة نهضة علميّة تبنّت كل العلوم كعلوم الإنسان والاجتماع المنهج العلمي، فسعى العلماء الغربيّين إلى الغوص في بحور اللّفظ والتّعمّق فيها بهدف إعطاء اللّغة منهج دراسة علمي دقيق، وهذا ما جاءت به اللّسانيّات.

1 المراحل التي مرّت بها الدّراسات اللّغويّة:

اللّسانيات علم حديث ظهر عند الغرب، يهدف إلى دراسة اللّغة دراسة علميّة تعتمد على وصفها بعيدًا عن الأحكام المعياريّة، بتتبّع طريقة منهجيّة مبنيّة على أسس علميّة موضوعيّة، ويعود أوّل ظهور للّسانيات إلى القرن التاسعة عشر؛ حيث مرّت بثلاثة أطوار قبل أن تصبح علمًا قائمًا بذاته وهي:

1-1الطّور الأوّل: مرحلة النّحو التّقليدي:

"لقد اهتمّ الدارّسون في بادئ الأمر بفرع من فروع المعرفة تسمّى بالقواعد، إنّ هذه الدّراسة التي بدأها الإغريق و أخذها عنهم الفرنسيون اعتمدت على علم المنطق، وهي تقتصر على النّظرة العلميّة ولا ترتبط باللّغة نفسها، وليس لها من هدف سوى وضع القواعد التي تتميّز بين الصّيغ الصّحيحة وغير صحيحة؛ في دراسة معياريّة تبتعد كثيرًا عن الملاحظة الصّحيحة للحقائق، ومجالها محدود وضيّق"[1].

1-2الطّور الثّاني: مرحلة الفيلولوجيا:

"لقد وجدت مدرسة لفقه اللّغة في الإسكندريّة منذ القدم، ولكن هذه التّسميّة (الفيلولوجيا) غالبًا ما تطلق على الحركة العلميّة التي بدأها فرديك أوكست ولف Friedrict August Wolf في عام 1777م، وليست اللّغة الهدف الوحيد لهذه الحركة، فقد اهتمّ علماء فقه اللّغة بتصحيح النّصوص المكتوبة وشرحها والتّعليق عيها، كما شجّعت هذه المدرسة أصحابها

[1]_ فرديناند دو سوسير، علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف عبد العزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، 1985م، ص19.

على الاهتمام بالتّاريخ الأدبي وبالعادات والتّقاليد، والنّظم الاجتماعيّة وغيرها، وقد استخدموا أساليب النّقل في دراستهم، وكان هدفهم من دراسة المسائل اللّغويّة: مقارنة النّصوص التي كتبت في فترات زمنيّة مختلفة لمعرفة اللّغة التي يختصّ بها كل مؤلّف من مؤلّفي هذه النّصوص"[1].

فقد مهّدت هذه الدّراسة السبل لعلم اللّغة التّاريخي المقارن.

1-3 الطّور الثالث: فقه اللّغة المقارن:

"بعد اكتشاف اللّغة السنسكريتيّة تغيّرت الدّراسة اللّغويّة من دراسة نحويّة معياريّة إلى دراسة نحويّة مقارنة؛ فقد بدأت هذه المرحلة عندما اكتشف العلماء أنّ اللّغات يمكن مقارنة بعضها ببعض، وكان هذا الاكتشاف بداية فقه اللّغة المقارن comparative philologie سنة 1786م، كشف وليام جونز الانجليزي عن اللّغة السنسكريتيّة والعلاقة بينها وبين اليونانيّة واللاّتينيّة، وهكذا أخذ العلماء في المقارنة بين اللّغات الهنديّة و الأوروبية (اللاّتينيّة اليونانيّة، الكلتيّة، و الجرمانيّة)"[2].

وخلاصة القول لقد كان لاكتشاف اللّغة السنسكريتيّة والعلاقة بينها وبين اللّغتين الإغريقيّة واللاّتينيّة الدور الكبير في بعث روح جديدة في البحث اللّغوي.

"وفي عام 1816م نشر بوب كتابًا سمّاه (في النّظام الصّرفي للسنسكريتيّة) قارن فيه اللّغة السنسكريتيّة باللّغة الألمانيّة واللاّتينيّة وغيرها، وسرعان ما ظهر علماء كفويون بارزون أضافوا إلى ما أسهم به بوب منهم جاكوب غريم وبوتس وماكس مولر وأوكست شلايشر"[3].

ومع تطوّر الأسلوب المقارن، غيّر أسلوبرصده في التّطوّر التّاريخي فبعد ما كان يهتمّ بالعلاقات بين اللّغات أصبح يهتمّ برصد التّطوّرات اللّفظيّة في اللّغة، لكنّ التّفريق بين الأسلوبين التّاريخي والمقارن لم يظهر إلاّ بعد عام 1876م تقريبًا.

---

[1] _ فرديناند دو سوسير، علم اللّغة العام، ص19.

[2] _ محمود السعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د ت، ص331.

[3] _ فرديناند دو سوسير، نفسه، ص21.

"لكنّ أسلوبًا آخر جديدًا ما لبث أن اتّضحت معالمه أواخر القرن التّاسعة عشر وأوائل القرن العشرين هو الأسلوب الوصفي الذي دعا إليه فرديناند دو سوسير قِوام هذا الأسلوب المنهجي هو دراسة الظواهر اللّغويّة في فترة زمنيّة محدّدة وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصّواب، فلقد صار هذا الأسلوب سائدًا لدى أكثر الدّارسين اللّغويّين في كلّ أنحاء العالم منذ أن اكتشفت القيمة الحقيقيّة لمحاضرات دو سوسير"[1].

وبهذا، فقد مرّت الدّراسة اللّغويّة بثلاثة أطوار قبل أن تصل إلى ما عليه الآن، فكانت في بادئ الأمر مقتصرة على القواعد النّحويّة، ثمّ انتقلت إلى شرح النّصوص المكتوبة، لتنتقل فيما بعد إلى المقارنة بين اللّغات، وبهذا زال المنهج التّاريخي الّذي كان سائدًا بفضل ما قدّمه دو سوسير فهو أوّل من ميّز بين اللّغة واللّسان والكلام، كما فرّق بين العلاقات التّرابطيّة والتّركيبيّة، فما قدّمه دو سوسير كان بمثابة ثورة لسانيّة على المناهج التي كانت سائدة كالمنهج المقارن والمعياري، وبهذا اكتسبت اللّغة طابعًا علميًّا وأصبح للّسانيات أهميّة بالغة لكثرة ما تفرّع عنها من مبادئ واستفاد منها الباحثون، وسنتطرّق إلى هذه المبادئ في العنصر الذي يليه.

2 المبادئ اللّسانيّة عند فرديناند دو سوسير:

إنّ التغيّرات التي أحدثها دو سوسير في حقل الدّراسات اللّغويّة برزت بشكل واضح في الثنائيات التي قدّمها، وتحتلّ هذه المفاهيم منزلة كبيرة عنده ومن أهمّ الثّنائيّات التي ساقها دو سوسير في نظرياته ما يلي:

2-1 ثنائيّة اللّغة والكلام:

فرّق دو سوسير بين ثلاثة مصطلحات أساسيّة: اللّسان le langage واللّغة la langue والكلام la parole ؛ حيث يدلّ اللّسان على النّظام العام للّغة وهو يضمّ كل ما

[1] _ أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م، ص22.

يتعلّق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام؛ حيث يقول دو سوسير "لا ينبغي الخلط بين اللّغة واللّسان، فما اللّغة إلاّ جزء محدّد منه بل عنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللّسان"[1].

"أمّا اللّغة في نظر دو سوسير واقعة اجتماعيّة، وخصوصيّتها ليست مجرّدة بل متواجدة بالفعل في عقول النّاس وبعبارة أخرى فهي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد النّاطقين بلسان معيّن، ونلاحظ أنّ دو سوسير يشبّه اللّغة بالقاموس الذي يمثّل في الأصل الذّاكرة الجماعيّة لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه"[2]، معنى ذلك أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة كامنة في أذهان الجماعة اللّغويّة، فهي تنتمي إلى المجال الفردي؛ أي أنّها خاصيّة إنسانيّة يمتاز بها الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى، كما أنّها تنتمي إلى المجال الاجتماعي فهي الوسيلة الأساسيّة التي يتواصل بها الفرد داخل المجتمع.

أمّا الكلام فإنّه "التّجسيد الفعلي والواقعي للّسان ويختلف من شخص إلى آخر تبعًا لاختلاف البيئة والمستوى الدّراسي"[3]وبفصل اللّسان عن الكلام، نفصل في الوقت نفسه ما هو اجتماعي عمّا هو فردي، ما هو جوهري عمّا هو إضافي، أو عرضي في بعض الأحيان... ليس اللّسان من وظائف المتكلّم بل هو أثر يسجّله الفرد... بخلاف الكلام فإنّه عمل الفرد يتعمّده ويتبصّر فيه"[4].

فالكلام إذن هو التجسيد الفعلي والحقيقي للّغة، ويتميّز عن اللّغة كونه فردي عكس اللّغة اجتماعيّة، كما أنّه اختياري عكس اللّغة حتميّة، أضف إلى هذا أنّ الكلام لا يمكن دراسته علميًّا، أمّا اللّغة فيمكن دراستها علميًّا.

---

[1]_ أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجزائريّة، بن عكنون، ط2، 2005م، ص123.

[2]_ نفسه، ص123.

[3]_ نصرالدّين بن زرّوق ، محاضرات في اللّسانيات العامة، مؤسّسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011م، ص16.

[4]_ خولة طالب إبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006م، ص13.

2-2 الدّراسة الآنيّة والّدراسة الزّمنيّة:

تميّزت الدراسات اللّغويّة قبل مجيء دو سوسير باعتمادها على المنهج التاريخي، وهذا ما غيّره دو سوسير بتركيزه على الدّراسة الآنيّة للّغة فهي "تعنى بوصف النّظام اللّغوي بجزئيّاته بغض النّظر عن التّحوّلات التي يمكن أن تطرأ عليه، أمّا الدّراسة الزّمنيّة فتعنى بتحوّل هذه البنية عبر الأزمنة وبالطّوارئ التي تطرأ عليها أو على جزء منها والنّتائج التي تترتّب عن ذلك في الاستعمال اللّغوي، والبحث عن قوانين التّطوّر اللّغوي وعن أسبابه"[1].

ومنه نستنتج أنّ اللّسانيّات الآنيّة تدرس أيّة لغة دراسة آنيّة وصفيّة أمّا اللّسانيات الزّمنيّة فتهتمّ بدراسة تعاقب الأزمنة للكشف عن التّطوّرات التي تلحق اللّغة.

2-3 العلامة اللّغويّة (الدّليل اللّغوي):

توصّل دو سوسير من خلال دراسته للّغة أنّها تتكوّن من وحدات أساسيّة تسمّى العلامة اللّغويّة، فهي مكوّنة من الدّال وهو الصّوت أو الصّورة الصّوتيّة،والمدلول وهو الصّورة الذّهنيّة "ويقول دو سوسير موضّحًا ما سبق أنّ الدّليل اللّغوي لا يربط مسمّى ما باسمه الملفوظ بل مفهوم ذلك الشيء أو تصوّره الذّهني بصورة لفظة ذهنيّة ليست هي الصّوت المادّي لأنّه شيء فيزيائي محض بل انطباع هذا الصّوت في النّفس و الصّورة الصّادرة عمّا تشاهده حواسنا، فالدّليل اللّغوي إذن كيان نفساني ذو وجهين ويسمّى دليلاً لغويًّا، المركّب المتكوّن من المفهوم والصّورة الصّوتيّة (صورة اللّفظ في الذّهن)"[2].

"ومن خصائص هذا الدّليل أنّه اعتباطي أي العلاقة التي تربط الدّال بالمدلول علاقة وظيفيّة غير طبيعيّة غير حتميّة. فلا يوجد في سلسلة الأصوات التي تمثّل الدّال ما يدلّ على المدلول عليه إنّما تمّ ذلك بالتّواطؤ والاصطلاح"[3].

---

[1] _ خولة طالب إبراهيم، مبادئ في اللّسانيات، ص15.

[2] _ نفسه، ص22.

[3] _ نفسه، ص23.

ومن هنا نستنتج أنّ الدّال هو الصّورة السمعيّة والمدلول هو التّصوّر الذّهني والعلاقة التي تربط بينهما هي علاقة اعتباطيّة؛ أي عدم وجود علاقة مبرّرة تربط بين الدّال والمدلول.

2-4 العلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة:

ومن بين الثّنائيّات التي جاء بها دو سوسير ما يعرف بالعلاقات فهي نوعان:العلاقات التّركيبيّة وتتمثّل في الوضع الخطّي الأفقي في الكلام، أمّا العلاقات الترابطيّة تتمثّل في المحور العمودي.

أ العلاقات التّركيبيّة syntagmatics relations:

"يتمثّل هذا النّوع من العلاقات الأفقيّة بين الوحدات اللّغويّة ضمن السّلسلة الكلاميّة الواحدة كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة. وتضفي كل واحدة معنًا إضافيًّا على الكل، وتكون في حالة تقابليّة مع بقيّة الوحدات اللّغويّة الأخرى ولا تكتسب قيمتها إلاّ بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعًا. وتسمّى هذه الأنساق الخطيّة تراكيب"[1]. ففي هذه الجملة مثلاً (عاد زيدٌ فرحًا) ثلاث وحدات مكوّنة للعلاقات التّركيبيّة عاد+ زيدٌ+ فرحًا، وأمّا في مستوى المفردات فتختلف من تراكيب كلمات إلى تراكيب صوامت ودمجها، لتكون مفردة، كهذه المجموعة من الصّوامت م+ د+ ا+ ر+ س التي نعني بها مجتمعة (مدارس).

نستخلص من هنا أنّ الوحدات اللّغويّة لا تكتسب قيمتها إلاّ بتقابلها مع الكلمات التي قبلها أو تليها في تركيب الجملة.

ب العلاقات التّرابطيّة paradigmatic relations:

"يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبداليّة بين الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها في سياق واحد وبعبارة أخرى فإنّها تعكس علاقات موجودة بين علامة

[1] _ السّعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، دار السّلام الحديثة، مصر، ط1، 2008م، ص57.

موجودة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلاً بل موجودة في أذهاننا طبعًا"[1] وتتّضح لنا العلاقات الاستبداليّة التّرابطيّة في هذا المثال؛ حيث يمكننا تعويض (إنّ) بـ (ليت) و(لكن)، وكلمة (سماء) بـ (شمس) (ليل)، وكلمة صافيّة بـ (مشرقة) و(مظلم)... وهكذا دواليك.

لقد كان لثنائيّات دو سوسير الأثر الكبير في الفكر اللّغوي المعاصر كما أثّر كذلك في المدارس اللّسانيّة التي جاءت بعده وسنعرض فيما يأتي أهمّ هذه المدارس والمبادئ التي تقوم عليها.

3 المدارس اللّسانيّة المعاصرة:

جاءت اللّسانيات عند طائفة من اللّغويين، فاعتبروا المدارس مجموعة من المفاهيم التي تبنّوها، فلكلّ مدرسة وجهة نظر واحدة للّغة، ويعتمدون على منهج واحد في معالجة الظّواهر اللّغويّة، فهي نظريّة أو إطار فكري يعمل على معالجة البحث اللّغوي، ويشترط فيها تحديد الأهداف، والرؤى، وكانت الآراء التي طرحها دو سوسير الرّكيزة الأساسيّة لعدد من المدارس التي قامت على مبادئه نجد أوّلها:

3-1 مدرسة جنيف:

"تعدّ الأبحاث التي قدّمها فرديناند دو سوسير مابين 1906 إلى 1911 من أهمّ الدّراسات اللّسانيّة البنيويّة، إذ أنّه كان أوّل من دعا إلى دراسة اللّغة من ذاتها ومن أجل ذاتها دراسة وصفيّة تبحث عن نظامها وقوانينها دونما الاهتمام بجوانبها التّاريخيّة التّطوّريّة الزّمنيّة، فاللّغة ليست مجرّد آلة ماديّة صوتيّة بل إنّها نظام"[2].

فالهدف من دراسة اللّغة حسب دو سوسير هو دراستها دراسة وظيفيّة آنيّة.

[1] _ السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، ص58.

[2] _ شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس للّسانيّة المعاصرة، أبحاث للتّرجمة والنّشر، بيروت، ط1، 2004م، ص10.

ومن القضايا التي أثارها، نجد التّفريق بين اللّسان واللّغة والكلام، وبين الدّال والمدلول والعلاقة بينهما، كما ميّز بين العلاقات التّرابطيّة والتّركيبيّة، أضف إلى هذا تفريقه بين الدّراسة الآنيّة والزّمنيّة.

"إنّ الأعلام المؤسّسين لهذه المدرسة هم الذين تتلمذوا على يد دو سوسير مباشرة، وهم فئة من الدّارسين تشبّعوا بالأفكار الثّائرة التي كان يقدّمها دو سوسير في دروسه داخل الجامعة وبعد اقتناعهم بفعالياتها منهجيًّا ومعرفًّا حرسوا حرسًا شديدًا على نشرها وتعميمها لتتجاوز الحقل اللّساني المحض وتنتشر في حقول معرفيّة مختلفة، ومن أبرز أعلام هذه المدرسة: شارل بالي الذي جمع محاضرات أستاذه ونشرها بمشاركة سيشهاي Sechehay وكانت له اهتمامات خاصة بقضايا اللّغة الصّوتيّة التّركيبيّة الدّلاليّة"[1].

لقد كان لتلاميذ دو سوسير خاصّة سيشهاي وشال بالي الدّور الكبير في بروز اللّسانيات السوسيريّة إلى العالم.

3-2 المدرسة الوظيفيّة (حلقة براغ):

من المدارس التي تأثّرت بما جاء به دو سوسير من أفكار وآراء مدرسة براغ التي ظهرت سنة 1926م، ومن أبرز أعلامها: رومان جاكبسون، نيكولاي تروبتسكوي، وكارل بولر "حيث أسّس العالم التشيكي، فيلام ماثيزيوس Vilem Mathesius وبعض معاونيه نادي براغ اللساني، وأصبح هذا النادي يعرف فيما بعد بمدرسة براغ، أو المدرسة الوظيفية أو المدرسة الفونيمية وقد بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثلاثينيات"[2].

يتميّز منهج دراسة اللّغة في هذه المدرسة بدراستها نحويًّا، صرفيًّا، صوتيًّا، دلاليًّا.

كما اهتمّت بالمجالات التّاليّة: الصّوتيّات الوظيفيّة التّاريخيّة والآنيّة، والأسلوبيّة اللّسانيّة الوظيفيّة، ودراسة الوظيفة الجماليّة للّغة، "ومن المصطلحات المتداولة في هذه المدرسة

[1] _ أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، منشورات كليّة الدّراسات العربيّة والإسلامية، دبي، ط2، 2003م، ص6.

[2] _ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص136.

مصطلح الفرق الوظيفي، وهو فرق بين صوتين ينجم عنه اختلاف في الدّلالة، كالفرق بين (p) و(b) في اللّغات الأوروبية، أمّا الفرق غير الوظيفي يتمثّل مثلا بين (ق) و(ڤ) فى بعض اللّهجات العربيّة كقولك قال وڤال"[1]، فهذه الاختلافات الصّوتيّة تؤدّي إلى اختلافات دلاليةّ وبالنسبة لهذه المدرسة فإنّ الأصوات الكلاميّة تنتمي إلى الكلام parole، وإن الفونيمات تنتمي إلى اللّغة langage، وذلك بالمفهوم الذي جاء به سوسير.

ومن أبرز علماء هذه الحلقة نيكولاي تروبتسكوي الذي ميّز بين نوعين من الدّراسة الفونولوجية؛ فالأول أطلق عليه فالفونولوجيا التي تهتمّ بالأصوات، والثّاني الأسلوبيّة الصّوتيّة التي تهتمّ بكيفيّة التّعبير عنها، وكذلك ياكبسون الذي اهتمّ بالدّراسة التّاريخيّة للّغة عكس سوسير الذي كان يركّز على الدّراسة الآنيّة لها، ومن أهم ما جاء به ياكبسون نظريّة وظائف اللّغة الستّة، فعمليّة الاتّصال عنده تتطلّب ستّة عناصر هي: المرسل، المرسل إليه، القناة الرّسالة، الشفرة.

نظريّة مارتيني الفونولوجيّة:

إنّ أهم المبادئ التي تبنى عليها أفكار مارتيني التّقطيع المزدوج، وهو الميزة التي تباين الأنظمة اللّسانيّة البشريّة عن التّنظيمات البشريّة الأخرى، ينصّ على أنّ تحليل الوحدات اللّغويّة يتمّ على مستويين:

أ التّقطيع الأوّلي: الذي يتكوّن من الكلمات الدّالة أي المونيمات monèmes مثل: أحضر الولد الكتاب ← أحضر/ ال/ ولد/ ال/ كتاب.

ب التّقطيع الثّانوي: وهو ينطلق من هذه النّتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلّة ذات المحتوى الصّوتي والدّلالي إلى الفونيمات phonèmes؛ أي إلى أصغر الوحدات الصّوتيّة المجرّدة من المعنى[2].

[1] _ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر ، ص138.

[2] _ شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ص20.

التّقطيع المزدوج ينقسم إلى وحدات لغويّة دالّة مونيمات ووحدات غير دالّة فونيمات.

ومن هنا نستخلص أنّ مدرسة براغ ركّزت على الوظائف التي تؤدّيها اللّغة؛ حيث لم تقتصر على وصف اللّغة علميًّا بل تعدّد ذلك إلى تبيان دورها وظيفيًّا.

من أهم ما جاءت به هذه المدرسة:

- دراسة الوظائف التي تؤدّيها اللّغة.

- اهتمامها بالمنهج الآني الوصفي وعلاقته بالمنهج التّاريخي.

- الدّعوة إلى الكشف عن تأثر اللّغة بكثير من الظّواهر العقليّة والنّفسيّة والاجتماعيّة.

3-3 مدرسة كوبنهاغن:

تأسّست هذه المدرسة بفضل ما قدّمه يلمسليف وأودل، وقد اتّخذت موقفًا مغايرًا لمدرسة براغ، "وقد امتدّت جذور مدرسة كوبنهاغن إلى حلقة كوبنهاغن، التي أسّست عام 1934م بقيادة هلمسليف وبروندال، واكتسبت هذه المدرسة أهميّة عالميّة في تطوّر اللّسانيّات الحديثة بتأسيس الدّورة العلميّة عام 1949م، وهي الدّوريّة التي حملت عنوانًا فرعيًا هو المجلّة الدّوليّة للّسانيّات البنيويّة"[1]، وأهمّ ما يميّز هذه المدرسة أنّها جاءت بمصطلحات جديدة منها مصطلح الغلوسيماتيك.

كلمة الغلوسيماتيك المشتقّة من الإغريقيّة (غلوسة) وتعني اللّغة.

[1] _ ميلكا افيتش، اتّجاهات البحث اللّساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثّقافة، ط2 2000م، ص317.

لقد غيّر يلمسليف مصطلحي الدّال والمدلول لدى دو سوسير بالتّعبير والمضمون فالعلامة اللّغويّة عنده ليست دالاً يؤدّي إلى مدلول بل تعبير يدلّ على مضمون، وقد اتّفق مع دو سوسير في أنّ اللغة شكل وليس مادّة.

ما يلحظ على هذه المدرسة أنّها أعادت صياغة مفردات جديدة كمصطلح الغلوسيماتيك الذي يعني اللّغة وكذلك ثنائيّة اللّغة والكلام لدى دو سوسير بثنائيّة أخرى أطلق عليها النّمط والنّص والاستعمال، وكذلك مصطلح تعالقات للدّلالة على العلاقات الاستبداليّة، ومصطلح علاقات لدّلالة على علاقات الرّكنيّة الأفقيّة.

إذا كان موضوع اللّسانيّات عند دو سوسير هو اللّغة، كذلك عند يلمسلسف.

3-4 مدرسة لندن:

تختلف هذه المدرسة عن باقي المدارس اللّسانيّة، كونها لم تتأثّر بالأفكار التي جاء بها دو سوسير حيث ردّت على ما جاء به، وأكّدت عن أنّ الكلام منتج فردي ولا صلة له بالجانب الاجتماعي، ولم تتأثر بدو سوسير فقط بل تأثّرت بالعالم (برايل)، والذي يؤكّد هذا الأخير على أنّ دراسة اللّغة بمعزل عن السيّاق الثّقافي والحضاري.

"يتميّز منهج الدّراسة لهذه المدرسة بالأحاديّة عند فيرث فقد كان يرفض بناء فكره اللّغوي غلى مايسمّى بالثّنائيّات لأنّه يصعب تحقيقها من النّاحيّة العلميّة، وذلك على خلاف ماذهب إليه دو سوسير تمامًا"[1].

"لقد كانت اهتمامات فيرث تنصّ حول مجالات متعدّدة منها:

1/ اهتمامات تاريخيّة (تاريخ اللّسانيّات).

2/ اهتمامات صوتيّة (الدّراسات الصّوتيّة فوق مقطعيّة).

[1]_ ينظر: أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، ص173.

3/ اهتمامات دلاليّة (وضع أسس نظريّة دلاليّة سياقيّة).

كما ارتكزت إنجازات فيرث العلميّة على جانبين هما:

الجانب الصّوتي ويمثّله مستويين: المستوى الأوّل: مستوى الوحدات الصّوتيّة الوظيفيّة وهي الصّوامت، الصّوائت، والمقاطع الصّوتيّة، والمستوى الثّاني هو مستوى الوحدات الصّوتيّة فوق المقطعيّة وهي النّبر والتّنغيم"[1].

نستخلص أنّ اللّغة عند فيرث ليست مجرّد إشارات وأدلّة بل هي رصيد ثقافي أو اجتماعي حيث يؤدّي السّياق دورًا مهمًّا في فهم المعاني، كما ركّز على الصّوتيّات الوظيفيّة وعلو الدّلالة.

3-5 المدرسة الأمريكية (المدرسة الوظيفيّة):

اختلفت اللّسانيّات الأمريكيّة عن اللّسانيات الأوروبيّة كونها انطلقت في دراستها من علم الأنثروبوبوجبا، فالمدرسة الأمريكيّة ركّزت في دراستها على اللّغة المنطوقة، ومن أهم الباحثين البارزين الذين قاموا بإرساء دعائم اللّسانيات الأمريكية وإدوارد سابير وليونارد بلومفيلد.

إنّ الأب الحقيقي لعلم اللّغة الأمريكي في القرن العشرين هو إدوارد سابير الذي تأثّر بالنّحات الجدد الألمان، فإنّ أهم المبادئ التي تميّزت بها نظريّته أنّه "فرّق بين نظام اللّغة الفيزيائي الكلام ونظامها المثالي"[2]، ما يلحظ على هذا أنّه لا يختلف عمّا جاء به دو سوسير في تفريقه بين اللّغة والكلام، فاللّغة اجتماعيّة والكلام فردي، إنّ اللّغة حسب سابير ظاهرة اجتماعيّة وجزء أساسي من الثّقافة فهي تساهم في تكوين ثقافة المجتمع.

"رفض سابير الاعتماد على التقسيم التّقليدي لأقسام الكلام في دراسته الوصفيّة للّغات الهنديّة وذهب إلى أنّ هذه الأقسام ليست بأي حال من الأحوال كليّات اللّغة أو حتّى وحدات

[1] _ أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، ص96.

[2] _ شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، ص27.

وظيفيّة طبيعيّة، بل إنّ لكلّ لغة أقسامها الخاصّة وأنماطها المتميّزة، وقد أكّد كذلك أنّ كل لغة تملك من الأصوات والبنى والمفردات ما يكفيها لتلبيّة حاجيّاتها"[1]؛ ويعني بهذا أنّ سابير غيّر في تقسيم الكلام وجاء بتقسيم آخر وجعل لكلّ لغة تقسيم خاص بها.

"ومن بين المتأثّرين بدو سوسير وأرائه ليونارد بلومفيلد الذي بذل جهدًا أكبر من جهود سابقيه لجعل علم اللّغة يدرس دراسة علميّة مستقلّة عن العلوم الأخرى، لذا استبعد من كتابه الجوانب التي تصعب دراستها وفقًا للمعايير العلميّة الموضوعيّة، فالمسائل الإنسانيّة مثلاً والثّقافيّة من الأمور التي لا تخضع في رأيه للوصف والقياس التّجريبي، وقد تأثّر في هذا بما يعرف في علم النّفس بالمذهب السّلوكي، الذي يقوم على تجنّب كل شيء لا يمكن ملاحظته ولا يستطاع قياسه... وكلّ شيء في نظر السّلوكيين استجابة عضويّة لمنبّه أو مثير خارجي تقدّمه البيئة المحيطة بالكائن الحي"[2].

إنّ المنهج الذي اعتمده بلومفيلد في دراسته للّغة يقوم على مبدأين أساسيين وهما المثير والاستجابة، فاللّغة حسبه ناتجة عن هذين المبدأين، أما الكلام فهو سلوك مادّي مسموع يمكن إخضاعه للملاحظة.

لقد جاء بلومفيلد متأثّرًا بسابير، الذي ركّز بتحقيق دراسة اللّغة دراسة علميّة حسب منهج دو سوسير، متأثّرًا بعلم النّفس في المذهب السّلوكي.

4 ظهور اللسانيّات في الثّقافة العربيّة

ليس من السّهل الوقوف عند البدايات الأولى لانتقال الفكر اللّغوي الحديث إلى الثّقافة العربيّة، لكن هذه البداية ترجع إلى الاتّصال بالثّقافة الغربيّة، لأن الثّقافة العربيّة إبان الحكم العثماني كانت تعيش تخلّفًا في جميع المجالات والميادين، وكان الجانب اللغوي من أبرز هذه الجوانب، لكن النهضة التي عرفها العرب سمحت لهم إن يبحثوا في لغتهم و ينظرون إليها.

[1] _ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص190.

[2] _ إبراهيم خليل، في اللّسانيات ونحو النّص، دار المسيرة، عمان، ط2، 2009م، ص33.

وكانت هذه النّهضة العربية نتيجة حملة نابليون على مصر، ومحاولة تسرب الإنجليز إلى الحياة المصريّة، مما أدّى إلى دخول ألفاظ جديدة إلى اللّغة العربيّة وكانت هذه الألفاظ "تتعلّق بشتّى العلوم والفنون وصناعة المدينة العصريّة كالمخترعات وأجزاءها وشتّى العقاقير والأدوات وأصناف المطاعم والمشارب وأوانيها وضروب الأثاث وما إليه، ومظاهر الحياة الحضاريّة من ألعاب ومجامع ونحوها"[1].

وحاول العرب للاستفادة من هذه المستجدات عن طريق نقلها إلى اللّغة العربيّة، فكان للتّرجمة الدّور البارز في ذلك، حيث ترجمت العديد من الكتب الأوروبيّة في مختلف العلوم إلى اللّغة العربيّة، حيث "حمل عبء هذه التّرجمة أعضاء وفرد البعثات التي أرسلها محمد علي ومن جاء بعده لتحصيل العلوم الأوروبيّة الحديثة و نقلها إلى العربيّة"[2].

فقد كان لهذه البعثات الأثر البالغ في إحياء اللّغة العربية وظهور مصطلحات جديدة إليها حيث أنشئت في مصر مدرسة الألسن والتّرجمة التي أدارها رفاعة الطهطاوي سنة 1837، معتمدًا في ذلك على نموذج مدرسة الألسن الشرقية بباريس التي تأسّست سنة 1795م، ولم تكن مصر وحدها من عرف هذه النّهضة بل كانت لبنان كذلك من رواد هذه النّهضة الفكريّة، وهذا راجع للتّنوع الثّقافي للمجمع اللّبناني وانفتاحهم على الشّعوب الأخرى نتيجة الهجرة.

ويضاف إلى هذا دور المستشرقين الذين أحضرتهم الجامعات المصريّة للتّدريس فيها فقد كان لهم الأثر الكبير في نقل العلوم والمعارف إلى الطّلبة التي لم يسعفهم حظّ الهجرة إلى أوروبا، "فقد كان هؤلاء المستشرقين على دراية تامّة دقيقة بمناهج البحث العلمي لاسيما في مجال الفيلولوجيا والمناهج التّاريخيّة المقارنة وهي المناهج التي كانت سائدة نهاية القرن التاسعة عشر في أوروبا وبداية القرن العشرين"[3].

---

[1] _ تيمور محمود، مشكلات اللّغة العربيّة، مكتبة الآداب، مصر، 1998م، ص ص10-11.

[2] _ مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النّشأة والتطور، شركة نشر وتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص8.

[3] _ نفسه، ص135.

ولقد برزت ملامح الاتّجاه في كتابات بعض النهضويين من أمثال: إبراهيم اليازجي جورجي زيدان... إلخ.

حيث ألقى اليازجي منذ سنة 1881م حاضرة بعنوان أصل اللّغات السّامية وقف فيها على حدود الأصل المشترك الذي يجمع العربيّة والعبريّة والآرامية[1].

وبعدما كان الاتّجاه التّاريخي المقارن مسيطر، ظهر اتّجاه آخر معاكس له هو الاتّجاه الوصفي، حيث يؤرّخ لبداية ظهور هذا الاتّجاه بعودة البعثات الطّلاّبيّة من الجامعات الأوروبيّة، حيث تصدّوا للتّدريس والبحث اللّغوي في الجامعات المصريّة، وبهذا أصبحت منطلقًا لبلورة الاتّجاه الوصفي في الثّقافة العربيّة، "ويؤرّخ لهذه البداية بعودة إبراهيم أنيس (1976/1906م) وقد ساد هذا الاتّجاه وترسّخ في الثّقافة العربيّة بفضل الجهود التي أعقبت إبراهيم أنيس والتي عرفت في أبرز تجلّياتها في جهود تلاميذه، وجهود بعض العائدين الجدد من المدرسة نفسها التي تخرّج منها، وكان من أبرز هؤلاء عبد الرّحمان أيّوب، تمّام حسّانكمال بشر، محمود السّعران..."[2]، وقد سادت هذه الاتّجاهات في تيّارات ثلاثة واضحة صاحبت تقدّم النّظريّة اللّغويّة وهي:

- الاتّجاه الوصفي التقريري.
- الاتّجاه التّأصيلي.
- الاتّجاه التّفسيري.

وهناك من نّادى بضرورة إحياء التّراث والتّمسّك به، وهناك من يدعو إلى محاولة إعادة قراءة التّراث وفق المناهج الغربيّة.

[1] _ حافظ إسماعيل يعلوي، اللّسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م ص36.

[2] _ نفسه، ص45.

5 المناهج اللّسانيّة العربيّة الحديثة:

لقد ظهرت في العربيّة مجموعة من المذاهب يمثّلها مجموعة من الدّارسين العرب، فقد كان لهؤلاء الأثر الكبير في تطوير المناهج اللّسانيّة، ومن بين هؤلاء نذكر: إبراهيم أنيس عبد الرّحمان أيّوب، تمّام حسّان، عبد الرّحمان حاج صالح، مازن الوعر، عبد القادر الفاسي الفهري، فقد سار كل واحد منهم حسب تأثّره بالثّقافة الغربيّة، ومن بين هذه الاتجاهات نذكر:

5-1 الاتّجاه الوصفي التّقريري:

يعتمد أصحاب هذا الاتّجاه "في دراسة اللّغة من النّاحيّة الشّكليّة الخارجيّة على المنهج الوصفي التّقريري على اعتباره الأسلم في وصفها نحويًّا، صرفيًّا، صوتيًّا؛ فهم ينفرون من التّعليل القائم على التّأويل و التّقدير، والمقايسة العقليّة لا الشّكليّة بين الظاهرتين أو الحكمين"[1]. معنى ذلك دراسة اللّغة تقتصر على الجانب الشّكلي الخارجي دون الاعتماد على التّعليل أو التّفسير، ويعدّ إبراهيم أنيس وعبد الرّحمان أيوب وإبراهيم السمرائي من أبرز رواد هذا الاتّجاه.

كما قد رفض أغلبيّة أصحاب هذا الاتّجاه الدّراسات النّحويّة اللّغويّة القديمة وهذا يرجع إلى تأثّرهم بالوصفيين الغربيّين.

5-2 الاتّجاه التّأصيلي:

اختلف أصحاب هذا الاتّجاه في دراستهم للّغة دراسة تأصيليّة لبعض جوانب النّحو العربي بالاعتماد على المنهج التّقابلي من خلال مقابلة بعض جوانب النّحو العربي بالمناهج اللّغويّة الحديثة، ومن بين أصحاب هذا الاتّجاه نذكر: نهاد الموسى، عبد الرّحمان الحاج صالح، وعبد القادر المهيري.

[1] _ ينظر: حسن خميس الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشّروق، عمان، ط1 2000م، ص225.

ويتحقّق ذلك من خلال ما أثبته عبد الرّحمان حاج صالح حول دقّة النّظريّة النّحويّة "فكان هدفه من ذلك إثبات أنّ نظريّة النّحو العربي عربيّة في جذورها وأصولها، وكذلك تحديد الأصول والأنظار العلميّة التي بنى عليها نحاة العربيّة نظريّة النّحو العربي"[1].

5-3 الاتّجاه التّفسيري:

يمثّل هذا الاتّجاه كل من محمد علي خولي ومازن الوعر وعبد القادر فاسي الفهري ولعلّ الفاسي الفهري من أبرز أعلام هذا الاتّجاه "فالنّظريّة اللّسانيّة عنده هي بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصّة تكون مجموعة متّسقة يحكمها مبدأ عام وهو مبدأ التّفسير"[2].

وقد بيّن مفهوم التّفسير بقوله "مفهوم شامل يفسّر النّظام اللّغوي من حيث المفاهيم النّحويّة كالحالة الإعرابيّة، والتّطابق والتّقدير، والحذف، والزّمن ومن حيث اللّوازم المعجميّة كالمعنى التعدية و اللّزوم وصياغة الفعل"[3]، حيث لم يكن موقفه مؤيّدًا للوصفيين فأعاب عليهم انتقادهم للنّحاة القدامى، كما عاب عليهم أيضًا إفسادهم للنّحو العربي.

لقد تطرّقنا فيما سبق إلى ظهور اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة كما ظهرت اتّجاهات لسانيّة مختلفة داعيّة لتطبيق المناهج العلميّة الحديثة على الدّرس اللّغوي العربي، فاختلفت آراء التّيارات فهناك من تمسّك بمبادئه ولم يغيّرها وهناك من دعا إلى إعادة إحياء التّراث اللّغوي وإخضاعه للمناهج اللّسانيّة الحديثة، ويعدّ عبد الرّحمان الحاج صالح من أبرز هؤلاء من خلال النّظريّة الخليليّة الحديثة ومشروع الذّخيرة اللّغويّة، والحوسبة اللّغويّة وسنتطرّق إليها فيما يلي ولكنّنا سنركز على النّظريّة الخليليّة.

[1] _ حسن خميس الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ص248- 249.

[2] _ عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبيّة دلاليّة، دار توبقال، المغرب، ط2، 1992م ص13.

[3] _ حسن خميس الملخ، نفسه، ص252.

6 جهود عبد الرّحمان الحاج صالح

لقد كان لعبد الرّحمان الحاج صالح العديد من الجهود اللّغويّة من بين هذه الجهود: مشروع الذّخيرة اللّغويّة والحوسبة اللّغويّة...إلخ.

6-1 الذّخيرة اللّغويّة

هي انترنت لغويّة عربيّة، أو جوجل العرب Google، وبعبارة أخرى قاموس جامع "فهو بنك آلي من النّصوص القديمة والحديثة من الجاهليّة إلى وقتنا الحاضر، وأهم صفة يتّصف بها هي سهولة حصول الباحث على ما يريد، وسرعته، وشمولية المعلومات التي يمكن أن يتحصّل عليها، واهم من هذا أيضًا هو اشتمالها على الاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة عبر العصور وعبر البلدان العربيّة المختلفة"[1].

6-2 الحوسبة اللّغويّة

فهذه المسألة متعلّقة بحوسبة الذّخيرة اللّغويّة، لذا نجد عبد الرّحمان الحاج صالح يلحّ على ضرورة التّعاون والمساهمة في اختصار الطّريق وتوفير الجهود بقدر ممكن، لذا يسعى مكتب تنسيق التّعريب إلى تحقيقه من خلال النّدوات التي يقيمها حول: أسس معاجم بنوك المصطلحات اللّسانيّة،العلاج الآلي للّغة.

6-3 في المصطلحات

من المعروف أنّ المصطلحات مفاتيح العلوم، فتعدّد المصطلحات في الوطن العربي أدّى إلى ضرورة وضع مجامع لغويّة، ويمكن إجمال أهم الإسهامات التي أنجزها عبد الرّحمان حاج صالح في هذا المجال:

- إعداده لمعجم مصطلحات الإعلاميات فرنسي عربي سنة 1972م.

[1]_ عبد الرّحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، موفيم للنّشر، الجزائر، ج1، 2012م، ص409.

– معجم مصطلحات علم اللّسان.

6_4 النّظريّة الخليليّة الحديثة

تعدّ هذه النّظريّة امتدادا لما جاء به الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهم من علماء، فقد بها نافس بها عبد الرّحمان الحاج صالح ما ستجدّ من نّظريات لغويّة غربيّة وعربيّة، إضافة غلى طموحها في ترسيخ المفاهيم النّحويّة العربيّة الأصيلة، ومسايرة العصر خاصّة، وسمّيت بالنّظريّة الخليليّة الحديثة لأنّها مزيج من الدّراسات والنّظريّات التي جاء بها النّحاة العرب القدامى خاصّة الخليل، ومن بين المفاهيم الأساسيّة التي جاءت بها نذكر:

6-4-1 المفاهيم الأساسيّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة:

اعتمد العرب وزعيمهم في ذلك الخليل على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللّغة أهمّها:

أ الاستقامة: انطلق الحاج صالح في تحديد مفهومها من سيبوبه حيث يقول سيبويه في أوّل كتابه: "منه (أي الكلام) مستقيم حسن ومحال ومستقيم وكذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب:

– المستقيم الحسن: السّليم في القيّاس والاستعمال معًا.

– المستقيم القبيح: السّليم في القيّاس وغير سليم في الاستعمال.

– المستقيم المحال: سليم في القيّاس والاستعمال، غير سليم من حيث المعنى"[1].

فالملاحظ من هذا التّقسيم أنّ الكلام مبني على السّلامة من حيث اللّفظ والمعنى.

[1]_ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بنقنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988م، ص25.

"ومن ثمّ جاء التّمييز المطلق بين اللّفظ والمعنى، وأعني بذلك أنّ اللّفظ حدّد أو فسّر باللّجوء إلى اعتبارات تخصّ المعنى، فالتّحليل هو تحليل معنوي (sémantique) لا غير أمّا إذا كان التّحديد والتّفسير على اللّفظ نفسه دون أي اعتبارات للمعنى فهو تحليل لفظي معنوي (sémiologico grammatical) والتّخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطًا أو تقصيرًا"[1].

ب مفهوم الانفراد (الانفصال والابتداء): من أهم المبادئ التي أصّلها عبد الرحمان الحاج صالح الاسم المفرد وهو النّواة أو الأصل الذي تتفرّع عنه أشياء أخرى.

يعدّ الانفصال والابتداء المنطلق الأساسي لتحليل الجملة؛ حيث يمكن للباحث من استكشاف الحدود الحقيقيّة التي تحصل في الكلام، "وبهذا ينطلق الباحث من اللّفظ أوّلاً ولا يحتاج أن يفترض أي افتراض كما يفعله التّوليديّون وغيرهم هندما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها، ولا بدّ من الملاحظة أن هذا لمنطلق هو في الوقت نفسه وحدة لفظيّة unité sémiologique لا يحدّدها إلا ما يرجع فقط إلى اللّفظ وهو الانفصال والابتداء"[2].

بمعنى أنّ عماد اللّفظة في اللّسانيّات الخليليّة هو الانفصال والابتداء، فكل وحدة لفظيّة قابلة للانفصال ولابتداء؛ أي يمكن الوقوف عليها أو الابتداء بها حسب موقعها في الكلام نحو: (الطّالب) ← دخل الطّالب ←الطّالب دخل، فيمكن الابتداء بكلمة الطّالب ويمكن الوقوف عليها.

ج الموضع والعلامة العدميّة: جاء عبد الرّحمان الحاج صالح بمصطلحين جديدين هما الموضع والعلامة العدميّة، حيث اعتبر الموضع هو التّرتيب، أو مواضع تترتّب فيها الكلمات أو الجمل فتحدّد بالزّيادة التّدريجيّة، "فإنّ المواضع التي تحتلها الكلم هي خانات تحدّد بالتّحويلات التّفريعيّة أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزّيادة التّدريجيّة وهذه

[1] _ عبد الرّحمان الحاج صالح، النّظريّة الخليليّة الحديثة، مفاهيمها الأساسيّة، مجلّة دراسات المركز، الجزائر، ع4، 2007م ص30.

[2] _ نفسه، ص32.

الزّيادّة هي نفس التّحويل (في هذا المستوى)"[1]، ومن هنا يحدّد موضع وموقع كل عنصر في الجملة.

أمّا العلامة العدميّة هي أنّ الموضوع يخلو من عنصر له فتسمّى الخلو من العلامة "وهي التي تختفي في موضوع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضوع آخر، وذلك كجميع العلامات التي تميّز الفروع عن أصولها (المفرد والمذكّر والمكبّر لها علامات غير ظاهرة بالنّسبة للجميع والمثنّى والمؤنّث والمصغّر)"[2].

د العامل: إنّ أوّل من أصّل لنظريّة العامل هو الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد تحدّث عن أحكامه، ولهذا تعدّ نظريّة العامل من أهمّ المفاهيم في النّظريّة الخليليّة؛ فهو الأساس الذي ينبني عليه التّركيب، فالعامل مفهوم مرتبط بالبنية التّركيبيّة للجملة وهو النّواة المركزيّة لها "فالمستوى التّركيبي هو المستوى الذي تظهر فيه الوحدات اللّغويّة، العامل والمعمول الأوّل والمعمول الثّاني، وليست ناتجة عن تركيب لفظة بلفظة أخرى أي ليس هذا المستوى الذي تظهر فيه الجملة عبارة عن تركيب للوحدات من المستوى الأدنى"[3].

فالعامل يبيّن لنا الارتباط بين أجزاء التّركيب، فكل جزء يرتبط بآخر فمن هذا الارتباط تظهر دلالة اللّفظ.

هـ مفهوم المثال: إنّ مفهوم المثال ليس له مقابل في اللّسانيات الغربيّة فهو مفهوم عربي أصيل ينفرد به العرب عن غيرهم، "وقد أخذه المستشرقين اللّغويين من العرب وأوّل من سمّاه schéme هو J. cantineau"[4]، فهو إذًا "حدث إجرائي تتحدّد به العمليّات المحدثة للوحدات، ليس فقط في الألفاظ بل هو موجود في كل المستويات: كمستوى الكلمة فهو بناؤها ووزنها لأنّه يمثّل الهيئة الصّوريّة المجرّدة للكلمة، ومستوى اللّفظة"[5]، معنى ذلك أنّ المثال

[1]_ عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج1، ص221.
[2]_ نفسه، ص222.
[3]_ نفسه، ج2، ص87.
[4]_ نفسه، ج1، ص251.
[5]_ نفسه، ج2، ص90.

على مستوى الكلمة مجموعة من الحروف المترابطة سواءًا كانت أصليّة أو زائدة مع حركاتها وسكناتها نحو: درس ← مدروس، رجع ← استرجع، ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

الكلمة	مدروس
الحروف الأصليّة	درس
الزّوائد	م، و
الحركات والسّواكن	ـَـَـَ
المثال	مفعول

و الوضع والاستعمال: يعدّ الوضع والاستعمال من أهمّ المفاهيم التي جاء بها عبد الرّحمان الحاج صالح، فالوضع هو "مجموعة منسجمة من الدّوال والمدلولات ذات بنية عامّة ثمّ بُنى جزئيّة تندرج فيها، وما يسمّى بالقيّاس هو المعقول من هذا الوضع؛ أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللّغويّة والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليّات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي من الأصول إلى الفروع"[1].

أمّا الاستعمال فهو "كيفيّة إجراء النّاطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، وليس كل ما هو موجود في الوضع يخرج إلى الوجود في الاستعمال كما أنّه ليس كل ما يقتضيه القيّاس يحصل في الكلام فالقيّاس كعمليّة عقليّة قد يؤدّي إلى ما لا يقبله الاستعمال"[2].

بمعنى أنّ الوضع يمثّل اللّغة وفي المقابل يمثّل الاستعمال كيفية أداء هذه اللّغة، فهذه الثّنائيّة قريبة جدًّا من مفهوم الكفاءة والأداء عند تشومسكي في النّظريّة التوليديّة التّحويليّة كما أنّها تشبه اللّغة والكلام عند دو سوسير.

[1]_ عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللّسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللّغة العربيّة، مجلّة اللّسانيّات، معهد العلوم اللّسانيّة والصّوتيّة، جامعة الجزائر، ع4، 1973-1974م، ص39.

[2]_ نفسه، ص39.

الفصل الثاني

مقارنة بين المبادئ اللّسانيّة من دو سوسير إلى عبد الرّحمان الحاج صالح

انطلقت المدارس اللّسانيّة من أفكار دو سوسير التي غيّرت مجال دراسة اللّغة تغييرًا جذريًّا، باعتبارها منطلق الدّرس اللّساني الحديث، كما جاء بمفاهيم جديدة في مجال الدّراسات اللّغويّة، ومن أبرز ما جاء به الثّنائيّات التي كان لها الأثر الكبير على المدارس التي جاءت بعده، فقد تأثّرت به هذه الأخيرة، فاتّفقت معه في بعض الجوانب واختلفت في البعض الآخر، ومن أهمّ هذه المدارس نذكر:

1 دو سوسير ومدرسة براغ:

استقت هذه المدرسة العديد من المبادئ السوسيريّة في بلورة أفكارها، فغيّرت في البعض وطوّرت في البعض الآخر، فإنّ أهمّ ما يميّز هذه المدرسة نظرتها إلى نظام اللّغة فهي تهتمّ بجميع الجوانب المتعلّق بها (الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، الدّلاليّة)، فقد انطلقت هذه اللّغة من دو سوسير في تفريقها بين اللّغة والكلام.

1-1ثنائيّة اللّغة والكلام:

لقد فرّق دو سوسير بين ثلاثة مصطلحات هي: اللّغة واللّسان والكلام ، حيث يدلّ اللّسان على النّظام العام للّغة وما اللّغة إلاّ جزء محدّد منه، فاللّغة عند دو سوسير نظام من العلامات، أمّا مدرسة براغ ترى أنّ اللّغة نظام من الوظائف، وما تتّفق فيه هذه المدرسة مع دو سوسير هي نظرتها للّغة وتأكيدها على الوظيفة الإبلاغيّة للّغة. أمّا الكلام فهو عمل فردي حسب دو سوسير وهذا نفسه عند حلقة براغ "فبنّسبة لهذه المدرسة، الأصوات تنتمي إلى الكلام والفونيمات تنتمي إلى اللّغة وهذا ما جاء به سوسير"[1].

فكلا النّظريتين ترى أنّ اللّغة نظام للتّواصل، وتحقيق مقاصد المتكلّم في التّعبير والتّواصل.

[1] _ أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، ص ص137-138.

2-1الدّراسة الآنيّة والدّراسة الزّمنيّة:

تميّز القرن التّاسعة عشر بالدّراسة التّاريخيّة للّغة، لكن مع مجيء دو سوسير تغيّرت دراسة اللّغة إلى الدّراسة الوصفيّة الآنيّة، ثمّ النّظر إلى تطوّرها عبر الأزمنة؛ فالدّراسة الآنيّة حسب دو سوسير تعني دراسة اللّغة دراسة وصفيّة في زمن معيّن، أمّا الدّراسة الزّمنيّة فيعنى بها دراسة اللّغة عبر الأزمنة، وكذا دراسة التّطوّرات والتّغيّرات التي تطرأ عليها؛ حيث أولى دو سوسير الدّراسة الآنيّة العناية القصوى، ثمّ النّظر إلى التّطوّرات التي تطرأ عليها، أمّا حلقة براغ وخاصّة عند ياكبسون فدراسة اللّغة تكون تطوّريّة تاريخيّة، وهذا على عكس دو سوسير.

واتّفق حلقة براغ مع دو سوسير في دراسة اللّغة دراسة زمنيّة، واختلفا في كون دو سوسير اهتمّ بالدّراسة الآنيّة عكس حلقة براغ التي ركّزت على الدّراسة الزّمنيّة.

3-3 العلاقات التّركيبيّة والتّرابطيّة:

ميّز دو سوسير بين نوعين من العلاقات هما: التّركيبيّة والاستبداليّة؛ فالعلاقات التّركيبيّة عند دو سوسير هي العلاقات التي تكون بين الكلمات في الجملة الواحدة، حيث تؤدّي كل كلمة معنى إضافي إلى الكلمة التي قبلها، أو تليها في الجملة.أمّا العلاقات التّرابطيّة (الاستبداليّة) ويعنى بها استبدال علامة لغويّة موجودة في الجملة بعلامة أخرى موجودة في أذهاننا غير موجودة في الجملة.

أمّا حلقة براغ فاهتمّت بالجانب التّركيبي من النّاحية الوظيفيّة؛ أي لكل عنصر دور أساسي في الجملة أو دور دلالي لتحقيق الاتّصال.

ومنه نجد أن سوسير ركّز في الجملة على الجانب التّركيبي والاستبدالي فيها، أمّا حلقة براغ فاهتمّت بالجانب الوظيفي فيها.

أندري مارتيني وامتداد الاتّجاه الوظيفي

من أبرز علماء براغ أندري مارتيني، ومن أبرز الفوارق بينه وبين دو سوسير نذكر:

أ ثنائيّة اللّغة والكلام:

اهتمّ أندري مارتيني بالجانب الوظيفي للّغة؛ حيث تتمثّل وظيفتها في التّواصل والإبلاغ والتّفاهم بين أفراد المجتمع، وتعدّ هذه الوظيفة هي الأهمّ عنده، ولا ينفي الوظائف الأخرى التي تؤدّيها اللّغة لكنّه اعتبرها ثانويّة.

اختلف أندري مارتيني عن دو سوسير حول اللّغة؛ فالأوّل نظر إليها من خلال الوظائف التي تؤدّيها، والثّاني يرى أنّها نظام من العلامات.

ب الدّراسة الآنيّة والزّمنيّة:

اهتمّ أندري مارتيني بلّغة أي التّطوّرات والتّغيّرات التي تطرأ على الظّاهرة اللّغويّة عبر الأزمنة، ولم يول الدّراسة الآنيّة (الوصفيّة) أهميّة، عكس دو سوسير الذي انطلق في دراسة الظّواهر اللّغويّة من دراستها آنيًّا ثمّ النّظر إلى تطوّرها عبر الزّمن.

ج العلاقات التّركيبيّة والعلاقات الاستبداليّة:

بنى أندري مارتيني نموذجه التّحليلي للّغة من المفهوم السّوسيري للعلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة من خلال التّقطيع المزدوج ويتمّ وفق هذا الطّابع تمييز أي وحدة لغويّة وتحديد وظيفتها داخل السياق اللّغوي بما تختلف عن غيرها داخل نظام واحد مثلاً: (سار) (صار)، (سار) تختلف هذه الوحدات باختلاف الفونيم، ويحدث جرد الوحدات الصّوتيّة لأي لغة باستعمال التّقابلات الممكنة واستبدال الأصوات بعضها ببعض.

فقد انطلق أندير مارتيني من دو سوسير في تحديد مفهوم العلاقات التّركيبيّة والتّرابطيّة فول إلى تقسيم جديد ألا وهو التّقطيع المزدوج.

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ كل من مدرسة جنيف وبراغ تتّفقان في:

-التّمييز بين اللّغة والكلام.

- كلا المدرستين تعتمد على المنهج البنيوي في الدّراسة والتّحليل وهذا سمح للدّراسة اللّسانيّة أن تكون علمًا تجريبيًّا.

- كلا المدرستين تتّفق في أنّ وظيفة اللّغة هي التّواصل والتّبليغ، فهم يعتبرون أنّ اللّغة نظام يمكن الفصل بين عناصره انطلاقا من مبدأ دو سوسير الذي يرى أنّ دراسة اللّغة تكون في ذاتها ومن أجل ذاتها.

2 دو سوسير ومدرسة كوبنهاغن:

وبعد حلقة براغ جاءت مدرسة كوبنهاغن، فقد تميّز الفكر لدى هذه المدرسة بتبنّيها أفكار دو سوسير، ولكن بصبغة معاصرة فلقد كانت أفكاره اللّبنة الأساس لهذه المدرسة ومن بين علماء هذه المدرسة يلمسليف الذي صاغ اللّسانيّات صياغة رياضيّة، كما أعاد بناء المبادئ السّوسيريّة بمفاهيم جديدة، ومن بين هذه المفاهيم نذكر:

2-1ثنائيّة اللّغة والكلام (الهيكل والاستعمال):

اللّغة عند يلمسليف شكل وليست مادّة، وأنّ المادّة ليست لها معنى في ذاتها وإنّما هي صورة أو شكل، فقد نادى يلمسليف بما نادى به دو سوسير في نظرته للّغة، فقد وضع مقابل لثنائيّة دو سوسير (اللّغة والكلام، الهيكل والاستعمال)، فاللّغة يقابلها الهيكل، والكلام يقابله الاستعمال، فالهيكل هو الشّكل الخارجي للّغة أمّا الاستعمال فهو التّأدية الفعليّة للّغة. فقد اهتمّ باللّغة وأهمل الكلام كما فعل دو سوسير.

اتّفق كل من دو سوسير ويلمسليف في نظرتهما للّغة واختلفا في التّسمية فقط.

2-2العلاقات التّركيبيّة والعلاقات التّرابطيّة:

استبدل يلمسليف مصطلح العلاقات التّركيبيّة بمصطلح عِلاقات، ومصطلح علاقات استبداليّة بمصطلح تعالقات واحتفظ بنفس المفهوم الذي جاء به دو سوسير؛ فالوحدات اللّسانيّة تتحدّد من خلال علاقتها بالوحدات اللّسانيّة داخل النّسق، ولا تكون لها قيمة في ذاتها كالعلاقة بين الصّفة والموصوف.

2-3 الدّال والمدلول (العلامة اللّغويّة):

العلامة اللّغويّة عند دو سوسير مكوّنة من دالٍّ ومدلولٍ، فيعرّف الدّال على أنّه الصّورة السّمعيّة للعلامة اللّغويّة، أمّا المدلول فهو التّصوّر الذّهني له، ولقد غيّر هذان المصطلحان عند يلمسليف إلى ثنائيّة مستوى التّعبير ومستوى المحتوى، تجمع بينهما علاقة تسمّى العلامة اللّغويّة، "فالعلامة اللّغويّة عنده ليست دالّاً يؤدّي إلى مدلول بل تعبير يؤدّي إلى مضمون"[1].

ونلاحظ من خلال هذا القول أنّ يلمسليف غيّر مصطلحي الدّال والمدلول بمصطلحي مستوى التّعبير ومستوى المحتوى، كما وسّع مفهوم الدّليل اللّغوي عند دو سوسير.

بعد مدرسة كوبنهاغن جاءت مدرسة لندن، التي ارتكزت على المبادئ التي جاء بها دو سوسير، وإن كان هناك اختلاف بينها وبين دو سوسير، وذلك لصبغة أرادها أصحاب هذه المدرسة تميّزهم عن سواهم.

3 دو سوسير ومدرسة لندن:

اختلفت مدرسة لندن عن جنيف في كونها لم تبن فكرها اللّغوي على الثّنائيّات اللّغويّة بل على الأحاديّة اللّغويّة، وقد ربطوا اللّغة بالسّياق التي ترد فيه، ومن أبرز أعلامها فيرث والّذي سنبيّن موقفه من المبادئ اللّسانيّة، ومنها:

[1]_ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص157.

3-1 اللّغة والكلام:

اللّغة عند فيرث هي عبارة عن حصيلة العلاقات القائمة بين الفرد والمجتمع، فهي تعبير صادق عن حياة المجتمع وليست معزولة عنه، حيث يهتمّ بدراسة اللّغة في ظلّ العوامل الاجتماعيّة المحيطة بها، فأصبحت أوسع غذ هي مزيج من العادات والتّقاليد والعرف، فكل هذه العوامل تتدخّل في تحديد معنى الكلام.

فاللّفة إذن عند فيرث هي ظاهرة اجتماعيّة متعلّقة بالسّياق الاجتماعي التي ترد فيه وهذا ما ذهب إليه دو سوسير الذي يرى أنّ اللّغة مكوّن اجتماعي. لكن فيرث أراد أن ينظر إلى اللّغة نظرة شاملة بعيدًا عن نظرة دو سوسير البنيويّة، وبعيدًا عن نظرة بلومفيلد الذي نظر إلى اللّغة على أنّها سلوك، فدعا إلى دراستها إلى ما أبعد من المستوى الاجتماعي والتّواصلي.

أمّا الكلام عند فيرث فهو "مكون من أحداث، وهذه الأحداث معقّدة ومركّبة، وليس من السّهل دراستها وتحليلها دفعة واحدة، بل يجب النّظر إليها عبر مراحل"[1].

ومن هذا القول نجد أنّ فيرث قسّم الأحداث الكلاميّة إلى مراحل خلاف دو سوسير الذي لم يولي الكلام أهميّة لصعوبة تحديد قواعده وقوانينه.

3-2 العلاقات التّركيبيّة والعلاقات الاستبداليّة:

يميّز فيرث بين العلاقة القائمة في المحور التّركيبي والذي يطلق عليها اسم (البنية) وبين العلاقة القائمة في المحور الاستبدالي والتي يطلق عليها اسم (التّنظيم)، فالبنية هي سلسلة العناصر ذات العلاقة التّركيبيّة فيما بينها، أمّا التّنظيم فهو التّجميع الاستبدالي للعناصر المسموح بها.

وبهذا نجد أنّ فيرث استبدل مصطلح العلاقات التّركيبيّة بمصطلح البنية، ومصطلح العلاقات الاستبداليّة بمصطلح التّنظيم، وبقي على نفس المفهوم الذي جاء به دو سوسير.

[1]_ محمود جاد الرب، علم اللّغة نشأته وتطوّره، دار المعارف، جامعة المنصورة، ط1، 1985م، ص ص150-151.

3-3 العلامة اللّغويّة (الدّال والمدلول):

اهتمّ فيرث اهتمامًا واسعًا بالمعنى؛ حيث يرى بأنّ العلاقة بين الدّال والمدلول غير كافيّة لتحديد المعنى "فمعرفة السّامع وحدها بالإشارة اللّغويّة، وعلاقة الدّال بالمدلول، أو التّعبير بالمضمون، لا تكفي لتحديد المعنى، وإنّما الذي يساعد على تحديده فضلاً عن السّياق اللّفظي العرف الاجتماعي... أي فهمنا لقدرة الكلام على أداء وظائفه التّواصليّة يتطلّب وضعه في السّياق الاجتماعي"[1].

هذا يعني أنّ فيرث يرى أنّ معنى الكلمة لا يمكن أن يعطي دلالة واضحة إلاّ إذا ربط في سياق معيّن، فالمعنى عنده هو ما يهدف المتكلّم إيصاله إلى أفراد المجتمع، فركّز على المعنى من حيث إنتاج اللّفظ وعلاقة اللّفظ بالمتكلّم والسّامع، فالسّياق هو الذي يحدّد المعنى.

ومثال ذلك كلمة (حسن) فإن وصفت الرّجل قلت رجل حسن فهذا يعني من النّاحية الخلقيّة، وإن وصفت المعلّم وقلت معلّم حسن أي التّفوّق في الأداء، وإن وصفت الماء بقولك حسن فهو صافي ونقي، فكلمت حسن اختلف معناها بوضعها في سياقات مختلفة.

وكذلك كلمة (رحمك الله) طلب الرّحمة في الدّنيا، (الله يرحمك) طلب الرّحمة في الآخرة.

وممّا سبق نستنتج ما يلي:

- المعنى وظيفة في السّياق.

- السّياق هو الذي يحدّد المعنى.

- رفض فيرث تقسيم المعنى إلى دال ومدلول، وأضاف السّياق الاجتماعي في تحديد المعنى.

[1] _ إبراهيم محمود خليل، في اللّسانيّات ونحو النّص، ص35.

4 سوسير والمدرسة الأمريكيّة:

بعد معرفتنا كيف تطوّرت اللّغة مع اللّسانيّن الأوروبيين، وكيف تغيّرت نظرة اللّغويين من نظرة سطحيّة عابرة في سياق تاريخي، إلى نظرة واضحة في زمان ومكان وفئة معيّنة فكانت الدّراسة أكثر تدقيقًا للّغة، ففي الزّمن الذي تطوّر فيه البحث اللّساني الأوروبي تطوّر أيضًا البحث اللّساني الأمريكي البنيوي في أمريكا، لكنّنا نجهل المؤسّس الأصلي لها، وكل ما وصلنا مجموعة من الأعلام كان لها الفضل الكبير في دراسة اللّغة دراسة علميّة دقيقة ومن بينهم: سابير، بلومفيلد.

4-1 دو سوسير وسابير:

يعتبر إدوارد سابير من أبرز الأعلام اللّسانيّة الأمريكيّة الذي درس اللّغة، فعدّ رائد البنيويّة الأمريكيّة بدراسته للّغات الهنديّة، ووضعه لنظريّات لغويّة، كما كانت أفكاره ومبادئه تصب في اتّجاهات دو سوسير، فتمثّلت مبادئه في:

أ اللّغة والكلام:

جاء سابير بنظريّة اللّغة بربطه اللّغة بالفكر، ولم يعد تعريف اللّغة يقتصر على أنّها وسيلة للتّواصل والتّعبير عمّا في أنفسنا فقط، من خلال هذه النّظريّة تلعب اللّغة دورًا مهمًّا في تشكيل طريقة تفكيرنا، فهي تبيّن الدّور الثّقافي والاجتماعي في اللّغة؛ حيث أنّ كل لغة لها مصطلحاتها وتصوّراتها الخاصّة، فلا يمكن تفسيرها بلغات أخرى.

على سبيل المثال: الشّعوب الإفريقيّة وخاصّة سكّان الصّحراء، بعيشهم في بيئة حارّة صحراويّة تجدهم يمتلكون مصطلحات عديدة فيما يخصّ الرّمل، والنّباتات الشوكيّة والزّواحف، عكس الشعوب الأخرى في المناطق الباردة.

"لقد ركّز سابير على الجانب الإنساني للّغة وعلى بعدها الثّقافي، كما قسّم اللّغات إلى ثلاثة أصناف بحسب السّائد في تركيب مفرداتها: اللّغات الفاصلة، اللّغات اللاّصقة، اللّغات المتصرّفة، وهو القائل بمستويين متكاملين في اللّغة هما: الأوّل خارجي ويمثّله مستوى

الشّكل، والثّاني داخلي وتمثّله العمليات العقليّة. فعنايته واضحة تركّزت على الجانب الإبداعي في اللّغة ممّا جعله يصفها بأنّها طاقة أي قدرة عند المتكلّم– المستمع"[1].

درس سابير الكلام فاستبعد تقسيمه في دراسة اللّغات الهنديّة، وفي المقابل لم يول دو سوسير أهميّة قصوى له.

وفي الأخير نجد أنّ دراسة اللّغة اختلفت عند كل من سابير ودو سوسير، فالأوّل ركّز على الجانب الإبداعي فيها، والثّاني اهتمّ بالجانب النّظامي

للّغة جانبان: جانب مثالي وجانب فيزيائي لدى سابير عكس دو سوسير الذي عرفنا عنده الجانب النّفسي والذّهني للّغة.

ب الدّراسة الآنيّة والزّمنيّة:

لم يميّز سابير بين الدّراسة الآنيّة والدّراسة الزّمنيّة للّغة، "فاللّغة عنده قدرة فعّالة وطاقة ينتج بها المتكلّمون الأقوال وبها يفهمونها ولا تتماثل مع النتاج، المشاهد لأفعال الكلام والكتابة، وهي ذات شخصيّة متميّزة بوصفها خاصيّة للأمّة والجماعة التي تتكلّمها"[2].

من هنا نرى أنّ سابير لم يعط أهميّة للدّراسة الآنيّة والدّراسة الزّمنيّة، ولم يفصل بينهما عكس دو سوسير الذي فصل[3] بينهما، وأولى الدّراسة الآنيّة العناية القصوى.

ج العلاقات التّركيبيّة والعلاقات التّرابطيّة:

انطلق سابير من تقسيم دو سوسير للعلاقات، فوضع مصطلح التّوزيع مقابلاً له فموضع الكلمة في البنية محدّد بعلاقاتها بالكلمات الأخرى، ومن هذه العلاقات تنشأ قيمة كل كلمة.

[1] _ السّعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، ص ص90-91.

[2] _ نفسه، ص91.

[3]

إنّ العناصر اللّغويّة تتحدّد بعلاقتها داخل النّظام، أي بعلاقتها مع غيرها من العناصر اللّغويّة في التّركيب الواحد، وهو ما يسمى عند دو سوسير بالعلاقات التّركيبيّة التي تجمع بين كلمات الجملة الواحدة؛ حيث تستدعي كل منها الأخرى لتشكّل سياقًا لغويًّا ذا دلالة.حيث يرى سابير أنّ عمليّة التّوزيع السّليم الذي تأخذ فيه الكلمات قيمتها فتشكّل علاقات منطقيّة ولغويّة مع بعضها البعض.

4-2 دو سوسير وبلومفيلد:

يعدّ بلومفيلد من أهمّ رموز اللّسانيّات الأمريكيّة، الذي قد عرف بتنوّع الثّقافات، فقد اطّلع على اللّسانيّات الأوروبيّة، وعلم النّفس كما احتكّ بعلماء الاجتماع، وخاصّة تأثّره بعلم النّفس السّلوكي، وهو صاحب اتّجاه لساني مناقض لاتّجاه دو سوسير، بمجيئه باللّسانيّات السّلوكيّة، فإذا كان سابير يفسّر الظّواهر النّفسيّة انطلاقًا من دراسة النّشاط الذّهني، فإنّ بلومفيلد ينسبها إلى التّحليل السّلوكي وتتجلّى أهمّ أفكار بلومفيلد في:

أ اللّغة والكلام:

ينظر بلوفيلد للّغة على أنّا عادة إنسانيّة كلاميّة حيث ركّز على الجانب المنطوق فيها "فاللّغة حسب بلومفيلد سلوك فيزيولوجي يتسبّب في حدوثه مثير معيّن"[1]، معنى ذلك أنّ اللّغة عبارة عن سلوك خاضع لمثير واستجابة. فاللّغة إذن مجموعة من العادات السّلوكيّة.

ركّز بلومفيلد على الجانب الآلي للّغة وتجاهل الجانب الخلاّق فيها وهذا عكس دو سوسير الذي درس اللّغة دون ربطها بالعوامل الخارجيّة، ومثال ذلك: الإنسان يسمع جملة معيّنة أو يرى شيء، أو يشعر بشعور فيتولّد عن ذلك استجابة كلاميّة، دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأي صورة من صور التّفكير العقلي، فقد شبّه الإنسان بالآلة أو الحيوان قابل للملاحظة المباشرة.

[1] _ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص195.

أمّا الكلام فهو شكل من أشكال الحافز مرتبط بثنائيّة المثير والاستجابة، وهذا خلاف لدو سوسير الذي يرى أنّ الكلام هو نشاط شخصي فردي دون ربطه بالعوامل الخارجيّة.

ب العلاقات التّركيبيّة والعلاقات التّرابطيّة:

اهتمّ دو سوسير بالعلاقات التّركيبيّة والتّرابطيّة معًا ولم يفصل بينهما على عكس بلومفيلد، الذي اهتمّ بالتّركيب عوض الاستبدال، لأنّه يرى بأنّ الملفوظات هي عبارة عن متتاليات من العناصر الخفيّة والمنظّمة تنظيمًا خطّيًا، فمثلاً الخطاب هو مجموعة متتاليّة من الجمل، والتّركيب هو مجموعة متتاليّة من الوحدات الصّرفيّة، والوحدات الصّرفيّة هي مجموعة متتاليّة من الأصوات.

ج العلامة اللّغويّة (الدّال والمدلول):

أقصى بلومفيلد المعنى من دائرة الاهتمام في تحليله التّوزيعي، فلم يهتم بالدّلالة لتي تتضمّنها الملفوظات، لأنّ الاهتمام بالدّلالة يعرقل الوصول إلى قوانين هذه اللّغة.

فبلومفيلد إذن يرفض دراسة المعنى أو البحث في الدّلالة، فاقتصر في دراسة اللّغة على تحديد الجانب الشّكلي الذي يتمثّل في الصّوت والبنية، لأنّ المعنى عنده لا يمكن إخضاعه لنوع الدّراسة الوصفيّة العلميّة الدّقيقة.

نجد أنّ بلومفيلد لم يهتم بدراسة المعنى بل أقصاه عكس دو سوسير الذي اهتمّ به.

وبهذا نكون قد أنهينا من المقارنة بين المبادئ اللّسانيّة من دو سوسير إلى بلومفيلد وسنتتبّع مسارها إلى اللّسانيّات العربيّة وبالأخص عند عبد الرّحمان الحاج صالح.

5 دو سوسير والمناهج اللّسانيّة العربيّة الحديثة:

جاء الغرب بعلم اللّغة الحديث وفق منهج علمي منبثق من نّظريّات لسانيّة حديثة، التي جاءت مع أعلام اللّغة الغربيين، وبعد تطبيقهم لها وإنشاء مدارس لغويّة، تأثّر العرب بهذا التّغيير الحضاري اللّغوي، فظهرت اتّجاهات ومناهج تؤيّد الدّرس اللّساني الغربي الحديث

وما ساده من تطوّر. ويؤرّخ لبداية ظهور هذه المناهج بعودة البعثات الطّلابيّة التي أرسلها محمد علي إلى أوروبا، وحاولوا تطبيقها إلى اللّغة العربيّة: المنهج الوصفي والمنهج التّأصيلي والمنهج التّفسيري.

وقد ساد الاتّجاه الوصفي في الثّقافة العربيّة بفضل الجهود التي أعقبت إبراهيم أنيس والتي عرفت من خلال تلاميذه، وتتلخّص سمات هذا المنهج في : تحليل اللّغة من خلال تحليل وصفي لبنائها، كما تعاملوا مع الكتابة الوصفيّة اللّسانيّة العربيّة بنوع من التّبسيط الذي يمتاز بالسّطحيّة، فمنذ أن عرفت الدّراسات اللّغويّة المنهج الوصفي دعوا إلى تطبيقه، حيث يفهم من قول تمّام حسان أنّ اللّغة عبارة عن مجموعة من النّظم الاجتماعيّة، ومعنى ذلك أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة كما اهتمّ بدراسة المكونات اللّسانيّة وفق التّحليل البنيوي واهتمّ بمصطلحات الفونيم الصّوتي، ووظيفة الكلمة. أمّا عبد الرحمان أيوب فيربط الوصفيّة بالتّحليل الشّكلي لا الوصفي، أي تحليل شكل اللّغة بعيدًا عن المعنى، حيث نجد أنّ المنهج البنيوي يقرّ على دراسة اللّغة المعاصرة دراسة تزامنيّة تقوم على الوصف.

أمّا المنهج المنهج التّأصيلي فقد حاول أصحابه التّأصيل للنّحو العربي وأخضعوه إلى المناهج اللّسانيّة الحديثة، ومن أبرز أعماله عبد الرّحمان الحاج صالح، الذي أعاد إحياء المصطلحات التّراثيّة وأخضعها للمناهج اللّسانيّة الحديثة.

فمن خلال دراستنا السّابقة للنّظريّة الخليليّة الحديثة والنّظريّة البنيويّة توصّلنا إلى أهمّ أوجه التّشابه والاختلاف بينهما.

6 دو سوسير وعبد الرّحمان الحاج صالح:

لقد أثرى عبد الرّحمان الحاج صالح الدّرس اللّساني العربي بفضل التّشبّع بالتّراث اللّغوي العربي، واهتمامه بالنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، ثمّ نقل للقارئ العربي عصارة ممتزجة لديه، فجاء بمجموعة من المبادئ اللّسانيّة.

6-1 اللّغة والكلام (الوضع والاستعمال):

استطاع عبد الرّحمان الحاج صالح أن يستنبط أوجه التّكافؤ بين الثّنائيّة السّوسيريّة (اللّغة /كلام) والثّنائيّة الخليليّة (الوضع /الاستعمال)، فإنّ التّقابل الذي قدّمه دو سوسير بين اللّغة والكلام يكافئ تمامًا ما أقامه النّحّاة العرب بين الوضع والاستعمال، فقد فرّقوا بين ما سمّوه بوضع اللّغة وبين الاستعمال مثل دو سوسير، "فأمّا مفهوم الوضع أو التّواضع عند العرب فهو نفسه التّواضع الذي تكلّم عنه سوسير هو اصطلاح التّخاطب، فقد فرّقوا بين ما سمّوه بوضع اللّغة وبين الاستعمال مثل سوسير"[1].

أمّا الكلام فاهتمام علماء العرب به كبير جدًّا خلافًا لدو سوسير الذي لم يهم به والسّبب واضح فاحتياج المسلمين إلى فهم معاني القرآن الكريم والسنّة النّبويّة الشّريفة أدّى بهم إلى بذل جهود كبيرة في هذا المجال.

من بين الفروق بين العلماء العرب ودو سوسير نجد: اختلاف العرب مع دو سوسير في الأساس الذي بني عليه وضع اللّغة؛ فدو سوسير يركّز على الجانب التّقابلي (الاختلاف في اللّغة) ولا ينفي الجوانب الأخرى من الدّراسة اللّغويّة، ثمّ هناك فرق آخر يتمثّل في اقتصار النّظام اللّغوي عند دو سوسير في الكلم، عكس علماء العرب الذين اهتمّوا بجميع المستويات اللّغويّة.

وما يتشابه فيه هذان الاتّجاهان هي نظرتهما للّغة، فدو سوسير يرى أنّ اللّغة ليست فرديّة بل هي موجودة عند الجماعة اللّغويّة، فهي غير خاضعة لميولات الفرد ورغباته، وهذا ما ذهب إليه عبد الرّحمان الحاج صالح الذي يرى أنّ الوضع نتاج جماعي لا فردي.

6-2 العلاقات التّركيبيّة والعلاقات التّرابطيّة:

من بين المفاهيم اللّسانيّة الجديدة التي أتى بها الحاج صالح مفهوم العامل الذي هو النّواة الأساسيّة في تركيب الجملة، إن لم يكن هو التّركيب كلّه، إذا كان التّركيب عند دو

[1]_ عبد الرّحمان الحاج صالح، نظريّة الخطاب والتّخاطب، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، رغاية، 2012م، ص202.

سوسير هو تركيب لفظة بلفظة، فإنّ عبد الرّحمان الحاج صالح ليس تركيب لفظة بل يتمثّل في العامل، المعمول الأوّل، المعمول الثّاني، وتعدّ هذه العوامل أساس بناء التّركيب حيث عرّف عبد الرّحمان الحاج صالح العامل بقوله: "إنّ العامل هو العنصر الذي يتحكّم في التّركيب الكلامي ويؤثّر فيه، بل هو المحور الذي ينبني عليه"[1]، ومعنى ذلك أنّ العامل والمعولات يؤثّران في الجملة معنًا ومبنًا فالبحث في تركيب الألفاظ في هذه النّظريّة يعتمد على العلاقات التّركيبّة والاستبداليّة معًا؛ أي مرتبطان مع بعضهما البعض دون فصل مستوى على آخر، انطلاقًا من المحور التّركيبي إلى المحور الاستبدالي.

ومن هذا نجد أنّ كل من دو سوسير والحاج صالح ينظران غلى العلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة من منظور واحد، بمعنى النّظر إليهما متّصلين غير منفصلين، جاء الحاج صالح بمصطلح العامل مقابل لمصطلح العلاقات التّركيبيّة.

من خلال ما سبق نجد أنّ النّظريّة السوسيريّة والنّظريّة الخليليّة تتّفقان في النّقاط الآتيّة:

– تتّفق كلا النّظريتين في تعريفهما للوضع والاستعمال واللّغة والكلام.

– يتمحور موضوع الدّراسة عند كلّ منهما حول دراسة اللّغة، فموضوع اللّسانيّات هو دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، كون اللّغة الأداة التي يتواصل بها الأفراد داخل المجتمع.

– اعتمد كل منهما في دراستهما للّغة على المنهج الوصفي الآني.

– أنّ لكلا النّظريتين اهتمام بدور الكلام والتّخاطب وأهم ما تطرّقا إليه الاقتصاد اللّغوي في العمليّة الخطابيّة؛ ومعنى ذلك الاقتصاد في الجهد العضلي والفكري أثناء التّخاطب.

– اتّفاق كل من النّظريتين في تعريفهما للّغة، كون اللّغة نظام من العلامات اللّغويّة وربط اللّغة بالوظيفة التّواصليّة التّبليغيّة.

[1]_ عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج2، ص89.

– كلا النّظريتين لا تفصل بين المحور التّركيبي والاستبدالي، فهما مكمّلان لبعضهما ولا يمكن الفصل بينها.

خاتـــــمة

تطرّقنا من خلال هذا البحث إلى المبادئ اللّسانيّة من دو سوسير إلى المدارس التي جاءت بعده وصولاً إلى اللّسانيّات العربيّة؛ حيث وقفنا عند عبد الرّحمان الحاج صالح من خلال النظرية الخليليّة التي بناها على مفاهيم تراثيّة أصيلة، فقد توصّلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النّتائج المتمثّلة في:

-أنّ علم اللّسان علم حديث ظهر مع فيرديناند دو سوسير في القرن العشرين، عني بدراسة اللّغة دراسة علميّة وموضوعه دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

- أبرز ما جاء به دو سوسير الثّنائيّات اللّسانيّة أهمها: اللّغة والكلام، الآنيّة والزّمنيّة العلاقات التّركيبيّة والعلاقات الاستبداليّة، العلامة اللّغويّة (الدّال والمدلول)، كما كان له الفضل الكبير في بروز مدارس لسانيّة غربيّة واتّجاهات عربيّة انبثقت عنه أهمها: مدرسة جنيف، حلقة براغ، مدرسة كوبنهاغن، مدرسة لندن، والمدرسة الأمريكيّة، الاتّجاه الوصفي الاتّجاه التّأصيلي ، الاتّجاه التّفسيري.

- يعدّ عبد الرّحمان الحاج صالح الأب الحقيقي للّسانيّات العربيّة بامتياز، من خلال ما قدّمه من جهود لإعادة بعث التّراث اللّغوي العربي وإخضاعه للمناهج اللّسانيّة الحديثة فكان من أبرز هذه الجهود النّظريّة الخليليّة الحديثة، والتي تقوم على مجموعة من المفاهيم أهمها: الاستقامة، العاملة، الانفراد والانفصال، الوضع والاستعمال، الموضع والعلامة العدميّة.

- استقت المدارس اللّسانيّة أفكارها من مبادئ دو سوسير فاتّفقت معه في البعض واختلفت معه في البعض الآخر، وأضافت عليها الجديد، وأوّلها حلقة براغ التي تعدّ امتدادًا لأفكار دو سوسير، فكلا المدرستين تهتم بوظيفة اللّغة باعتبارها أداة للتّواصل والتّعبير ويختلفان نظرتهما للّغة؛ فدو سوسير يرى أنّ اللّغة نظام من العلامات، أمّا حلقة براغ فترى أنّ اللّغة نظام من الوظائف.

– لقد جاءت بعد حلقة براغ مدرسة كوبنهاغن، فاتّفقت مع دو سوسير بأنّ اللّغة شكل وليست مادّة، وكذلك لهما نفس النّظرة في العلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة، واختلفت معه بإعادة صياغة مفاهيم جديدة منها: الهيكل والاستعمال، التّعبير والمضمون.

– أنّ مدرسة لندن لم تبن فكرها على الثّنائيّات اللّغويّة بل على الأحاديّة اللّغويّة، كما أقصت المعنى عكس دو سوسير الذي اهتمّ به، واتّفقت معه في كون اللّغة ظاهرة اجتماعيّة.

– إنّ الأفكار السوسيريّة لم تبق حبيسة أوروبا بل امتدّت إلى أمريكا التي برزت عند كل من بلومفيلد وسابير، وقد اتّفق هذا الأخير في تفريقه بين اللّغة والكلام مع دو سوسير أمّا بلومفيلد فقد خالفه حيث اعتمد في دراسته للّغة على المنهج السّلوكي الخاضع لمثير واستجابة.

– لقد امتدّت الأفكار السّوسيريّة إلى العرب فظهرت اتّجاهات لسانيّة أوّلها: الاتّجاه الوصفي الذي اهتمّ بالدّراسة الوصفيّة للّغة، وثانيها الاتّجاه التّأصيلي الذي اتّخذ التّراث اللّغوي منطلقًا لدراسة اللّغة وفق مناهج لسانيّة حديثة، وهذا ما تبنّاها عبد الرّحمان الحاج صالح.

– تعدّ النّظريّة الخليليّة من أبرز ما جاء به عبد الرّحمان الحاج صالح، الذي استقى مفاهيمه من التّراث اللّغوي العربي، كالوضع والاستعمال الذي يقابل اللّغة والكلام عند دو سوسير، وما اختلفا فيه نظرتهما للكلام، فالأوّل أولاه العناية القصوى، عكس الثّاني الذي لم يهتم به، كما اهتمّا بالعلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة، حيث أطلق الحاج صالح على التّركيب بالعامل والمعمول، كما أنّ موضوع اللّسانيّات اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

من خلال الدّراسة التي قمنا بها والتي تخصّ موضوع بحثنا الموسوم بـ "المبادئ اللّسانيّة وامتدادها عند فيرديناند دو سوسير وعبد الرّحمان الحاج صالح دراسة لسانيّة مقارنة في قضايا مختارة"، فإنّنا لدينا بعض المقترحات بالشأن هذا البحث هي: اقتصار بحثنا على المقارنة بين المبادئ اللّسانيّة المحدودة في مختلف المدارس اللّسانيّة البنيويّة، فلم ندرس جلّ

المبادئ، كما لم نأصّل للّسانيّات الغربيّة والعربيّة، فنتمنّى أن يعاد فتح هذا البحث من جديد لدراسة هذه الجوانب بهدف إثراء الرّصيد المعرفي.

ملـــــــحق

التّعريف بفرديناند دو سوسير:

1 مولده ورحلاته:

ولد مونفان فرديناند دو سوسير وهذا اسمه الكامل في جنيف بسويسرا ، من عائلة هيفونو[1] ينتمي أفرادها إلى العلماء والفنّانين، وفي أثناء دراسته بجامعتها أبدى اهتمامًا باللّغات القديمة كالإغريقيّة واللاّتينيّة والسنسكريتيّة وهي إحدى اللّغات المقدّسة عند قدماء الهنود. وفي 1876 توجه إلى لايبزيغ بألمانيا والتحق بكلية الآداب فيها منكبا على دراسة اللغة والأدب وكانت هذه الجامعة قد شهدت تجديدا ملحوظا في دراسة اللغات، ونشرت فيها أبحاث في الصوتيات والمرفولوجيا (التصريف) فضلا عن نحو المقارن. ويقال أن دو سوسير بتلك الجامعة 4فصول دراسية، وفي 1878نشر3مقالات وفي العام الذي يليه اعد أطروحته للدكتورة حول الإضافة في اللغة سنسكريتية، وفي العام نفسه نشر بحثا حول نظام الحركات الأساسية في اللغات الهندو أوروبية ليصبح عضوا للجمعية اللغوية بباريس.

في عام 1881م عاد إلى جنيف ودرّس في الجامعة، غير أنّه ظلّ يتطلّع لوظيفة مدرّس في collège de France بباريس، وهي وظيفة تتطلّب الحصول على الجنسيّة الفرنسيّة وذلك ممّا لم يتسن له، ممّا اضطر جامعة جنيف لإحداث وظيفة محاضر متفرّغ للّغة السّنسكريتيّة وعلم اللّغات الهندو– أوروبيّة.

وفي سنة 1896م أي بعد خمسة عشر عامًا من الخبرة ثبت في الخدمة، وتحوّل في سنة 1907م إلى أستاذ في علم اللّغة العامGeneral linguistics[2].

---

[1] _ جيفري سامسون، مدارس اللّسانيات التّسابق والتطوّر، تر: محمد زياد كبة، كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، السعوديّة 1994م، ص26.

[2] _ إبراهيم محمود خليل، في اللّسانيّات ونحو النّص، ص14.

2 مؤلّفاته:

في الواحد والعشرين من عمره، نشر دو سوسير مؤلّفه الأوّل الذي جلب له شهر عالميّة عندما كان طالبًا في ألمانيا بعنوان "دراسة حول النّظام البدائي للصّوائت في اللّغات الهنديّة الأوروبيّة Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indoeuropéennes (Leipzig 1878) ويعدّ هذا العمل من المعالم اللّسانيّة التاريخيّة التي ساعدت على إعادة بناء اللّغة الهنديّة الأوروبيّة الأولى.

ويتمثّل مؤلفه الثّاني في الأطروحة التي قدّمها لنيل شهادة الدّكتوراه حول: حالة الجر المطلق في السنسكريتية Le génitif absolu on sanskrit (Genève 1881) وقد كتب دو سوسير مجموعة من المقالات حول اللّغة جمعت كلّها بعد موته بعنوان Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure (Genève 1922) أمّا مؤلفه الشّهير، فقد صدر بعد موته بثلاث سنوات، أي سنة 1916م بعنوان: محاضرات في اللّسانيّات العامّةcours de linguistique général ولم يكن هذا الكتاب ليرى النّور لو لم يقم شارل بالي وألبار سيشهاي الصّديقان الحميمان لدو سوسير بجمع محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في جامعة جنيف بين 1906م- 1911م ثمّ تصنيفها وتبويبها ونشرها في الشّكل الذي نعرفه اليوم[1]. فقد كان لهذه الدّروس في اللّسانيّات العامّة الدّور الحاسم في المسار الذي قطعته اللّسانيات، حتى غدت نموذجًا له قيمته النّظريّة والمنهجيّة المتميّز في حقل العلوم الإنسانيّة[2].

3 وفاته:

توفي فيرديناند دو سوسير في 22 نوفمبر 1913م، عن عمر ناهز 56 عاما، وذلك بسبب سرطان أصابه في حلقه.

[1] _ ينظر: أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص119.

[2] _ مصطفى غلفان، اللّغة واللّسان والعلامة عند سوسير، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، ط1، 2017م، ص388.

التّعريف بعبد الرحمان الحاج صالح

1 مولده ونشأته

ولد بمدينة وهران سنة 1927م، من عائلة نزحت من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التّاسعة عشر، تلقّى تعليمًا مزدوجًا إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد باللّغتين: العربيّة في إحدى المدارس الحرّة الجزائريّة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والفرنسيّة في المدارس الحكوميّة الفرنسيّة، اختار الحاج صالح دراسة الطّب توجّه عام 1954م إلى جمهوريّة مصر العربيّة ليكمل دراسته في جراحة الأعصاب[1].

درس في مصر وفي بوردو وباريس، تحصّل على التّبريز من باريس ودكتوراه الدّولة في اللّسانيّات من جامعة باريس (السوربون)، كان أستاذًا بجامعة الرّباط سنة 1961م إلى سنة 1962م، وبجتمعة الجزائر بعد ذلك، وصار مدير معهد العلوم اللّسانيّة بالجزائر، ثمّ مدير مركز البحوث العلميّة لترقية اللّغة العربيّة، وعيّنه الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسًا للمجمع الجزائري للّغة العربيّة سنة 2000م، وهو عضو في المجامع الآتيّة: دمشق، بغداد عمان، والقاهرة، يشرف على مشروع الذّخيرة الدّولي[2].

2 الجوائز والأوسمة:

تحصّل عبد الرّحمان الحاج صالح على العديد من الأوسمة من بينها: جائزة الملك فيصل عام 2010م تقديرًا لجهوده العلميّة المتميّزة في تحليله للنّظريّة الخليليّة النّحويّة وعلاقتها بالدّراسات اللّسانيّة المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النّحو العربي، وجهوده البارزة في حركة التّعريب[3].

---

[1]_ عبد القادر بوزياني، جهود عبد الرّحمان الحاج صالح في مجال اللّسانيّات المعاصرة، مجلّة موازين، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، مج1، ع2، 2019م، ص10.

[2]_ عبد الرّحمان الحاج صالح، السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنّشر، الجزائر، 2012م ص453.

[3]_ عبد القادر بوزياني، نفسه، ص12.

3 جهود عبد الرّحمان الحاج صالح العلميّة:

"ترك عبد الرّحمان الحاج صالح عشرات الأبحاث والدّراسات في اللّغة واللّسانيات ومعاجم علوم اللّسان، نشرت في مختلف المجلات العلميّة المتخصّصة باللّغات العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة، ألّف وشارك في تأليف عدّة كتب في علوم اللّغة العربيّة واللّسانيات العامّة، منها: معجم علوم اللّسان، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، السّماع اللّغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، علم اللّسان العربي وعلم اللّسان العام (بالفرنسيّة في مجلدين) النّظريّة الخليليّة الحديثة مفاهيمها الأساسيّة، منطق العرب في علوم اللّسان، ومحاضرات ومقالات لغويّة نشرها بعنوان (مدخل إلى علم اللّسان الحديث) في مجلّة اللّسانيات[1].

توفي عبد الرّحمان الحاج صالح يوم 5 مارس 2017م بمستشفى عين النّعجة في العاصمة الجزائريّة عن عمر ناهز 90 عامًا رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

[1]_ عبد القادر بوزياني، جهود عبد الرّحمان الحاج صالح في مجال اللّسانيّات المعاصرة ، ص12.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربيّة:

1. إبراهيم خليل، في اللّسانيات ونحو النّص، دار المسيرة، عمان، ط2، 2009م.
2. أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، منشورات كليّة الدّراسات العربيّة والإسلامية دبي، ط2، 2003م.
3. أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م.
4. أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجزائريّة، بن عكنون ط2، 2005م.
5. تيمور محمود، مشكلات اللّغة العربيّة، مكتبة الآداب، مصر، 1998م.
6. حافظ إسماعيل العلوي، اللّسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.
7. حسن خميس الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشّروق، عمان، ط1، 2000م.
8. خولة طالب إبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006م.
9. السّعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، دار السّلام الحديثة، مصر، ط1 2008م.
10. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بنقنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988م.
11. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس للّسانيّة المعاصرة، أبحاث للتّرجمة والنّشر بيروت، ط1، 2004م.
12. عبد الرّحمان الحاج صالح، السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة موفم للنّشر، الجزائر، 2012م.
13. ــــــــــــ، نظريّة الخطاب والتّخاطب، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة رغاية، 2012م.

14. ـــــــــــــ، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، موفيم للنّشر الجزائر، ج1 وج2، 2012م.
15. عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبيّة دلاليّة، دار توبقال، المغرب، ط2، 1992م
16. محمود السعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د ت.
17. محمود جاد الرب، علم اللّغة نشأته وتطوّره، دار المعارف، جامعة المنصورة، ط1 1985م.
18. مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النّشأة والتطور شركة نشر وتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
19. ـــــــــــــ، اللّغة واللّسان والعلامة عند سوسير، دار الكتاب الجديدة، ليبيا ط1، 2017م.
20. نصرالدّين بن زرّوق، محاضرات في اللّسانيات العامة، مؤسّسة كنوز الحكمة الجزائر، ط1، 2011م.

الكتب المترجمة:

21. فرديناند دو سوسير، علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف عبد العزيز، دار آفاق عربيّة بغداد، 1985م.
22. ميلكا افيتش، اتّجاهات البحث اللّساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثّقافة، ط2، 2000م.

المجلات والمقالات العلميّة:

23. جيفري سامسون، مدارس اللّسانيات التّسابق والتطوّر، تر: محمد زياد كبة، كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، السعوديّة 1994م.

24. عبد القادر بوزياني، جهود عبد الرّحمان الحاج صالح في مجال اللّسانيّات المعاصرة مجلّة موازين، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، مج1، ع2، 2019م.
25. عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللّسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللّغة العربيّة مجلّة اللّسانيّات، معهد العلوم اللّسانيّة والصّوتيّة، جامعة الجزائر، ع4، 1973-1974م.
26. ـــــــــــــ، النّظريّة الخليليّة الحديثة، مفاهيمها الأساسيّة، مجلّة دراسات المركز، الجزائر، ع4، 2007م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدّمة	أ–ث
الفصل الأوّل اللّسانيات بين الغرب والعرب المبادئ والاتّجاهات	
1 المراحل التي مرّت بها الدّراسات اللّغويّة	2– 4
1–1 مرحلة النّحو التّقليدي	2
1–2 مرحلة الفيلولوجيا	2
1–3 فقه اللّغة المقارن	3
2 المبادئ اللّسانيّة عند فيرديناند دو سوسير	4– 7
2–1 ثنائيّة اللّغة والكلام	4
2–2 الدّراسة الآنيّة والدّراسة الزّمنيّة	6
2–3 العلامة اللّغويّة (الدّليل اللّغوي)	6
2–4 العلاقات التّركيبيّة والعلاقات التّرابطيّة	7
3 المدارس اللّسانيّة المعاصرة	8– 14
3–1 مدرسة جنيف	8

2-3 المدرسة الوظيفيّة (حلقة براغ)	9
3-3 مدرسة كوبنهاغن	11
4-3 مدرسة لندن	12
5-3 المدرسة الأمريكيّة	13
4 ظهور اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة	14
5 المناهج اللّسانيّة العربيّة	17- 18
1-5 الاتّجاه الوصفي التّقريري	17
2-5 الاتّجاه التّأصيلي	17
3-5 الاتّجاه التّفسيري	18
6 جهود عبد الرّحمان الحاج صالح	19- 24
1-6 الذّخيرة اللّغويّة	19
2-6 الحوسبة اللّغويّة	19
3-6 في المصطلحات	19
4-6 النّظريّة الخليليّة الحديثة	20
1-4-6 المفاهيم الأساسيّة في النّظريّة الخليليّة	20
أ الاستقامة	20
ب مفهوم الانفراد (الاتّصال والابتداء)	21

ج الموضع والعلامة العدميّة	21
د العامل	22
هـ المثال	22
و الوضع والاستعمال	23
الفصل الثّاني مقارنة بين المبادئ اللّسانيّة من دو سوسير إلى عبد الرّحمان الحاج صالح	
1 دو سوسير وحلقة براغ	25
2 دو سوسير ومدرسة كوبنهاغن	28
3 دو سوسير ومدرسة لندن	29
4 دو سوسير والمدرسة الأمريكيّة	32
5 دو سوسير والمناهج اللّسانيّة الحديثة	35
6 دو سوسير وعبد الرّحمان الحاج صالح	36
خاتمة	41
ملحق	45
قائمة المصادر والمراجع	50
فهرس الموضوعات	54

ملخّص

جاءت اللّسانيّات الغربيّة مع دو سوسير، الذي كان له الأثر الكبير في دراسة اللّغة دراسة علميّة، كما جاء بمجموعة من المبادئ اللّسانيّة امتدّت إلى المدارس اللّسانيّة التي جاءت بعده، فكان لكل مدرسة مبادئها الخاصّة، وقد امتدّ هذا التّأثير من الغرب إلى العرب وظهر إلى الوجود من خلال عدد من الاتّجاهات اللّسانيّة، وكذا ما قام به عبد الرّحمان الحاج صالح من جهود لسانيّة أبرزها النّظريّة الخليليّة.

وجاء هذا البحث يهدف إلى معرفة أوجه التّشابه والاختلاف بين المبادئ اللّسانيّة في مختلف المدارس اللّسانيّة، من خلال تطرّقنا إلى جهود دو سوسير وعبد الرّحمان الحاج صالح في حقل الدّراسات اللّسانيّة.

الكلمات المفتاحيّة: المبادئ اللّسانيّة وامتداداتها، اللّسانيّات الغربيّة، فيرديناند دو سوسير اللّسانيّات العربيّة، عبد الرّحمان الحاج صالح.

Summary:

Western linguistics come with Saussure, who had a great impact in the study of language as a scientific study, as he come with a set of linguistics principles, which extended to the schools that come after him, so that each school had it own principle, and this influence extended from the west to the Arabs and come in to existence through a number of linguistics trends as well as linguistics efforts made by Abd Al-Rahman Haj Salih, the most prominent one in the modern Khalilain theory, this research aims at knowing the differences and similarities between linguistic principles in various linguistic school by addressing the efforts of Ferdinand De Saussure and Abd AL-Rahman Haj Salih in the field of linguistic studies.

Key words: linguistics principles and their extensions, western linguistics, Ferdinend De Saussure, Arabic linguistics, Abd Al-Rahman Haj Salih.